عناقيد 1
اللؤلؤ

شغف البدايات..

قطرات من
فيض الروح ..

دار البشير
للثقافة والعلوم

اسم الكتاب: شغف البدايات.... قطرات من فيض الروح

التأليف: أحمد سعد الدمنهوري

موضوع الكتاب: أدب

عدد الصفحات: 152 صفحة

عدد الملازم: 9.5 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2016 / 13766

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 278 - 454 - 2

1437 هـ

2016م

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

Darelbasheer@hotmail.com

Darelbasheeralla@gmail.com

ت: 0115280653 - 01012355714

عناقيد 1

اللؤلؤ

شغف البدايات..

قطرات من فيض الروح ..

أحمد سعد الدمنهوري

دار البشير
للثقافة والعلوم



إهداء

إلى أرواح رقراقة،

ونفوس شفافة..

لا تستحق أن تشهد قبح العالم.

شكر واجب

إلى المترجمة المرموقة الأستاذة/ داليا الحضري،

التي جمعت ونسقت مادة هذا الكتاب في نسخته الأولية..

سائلًا الله تعالى أن لا يحرمها أجر الصالحين.

الحمد لله ولي النعم، عظيم المنن، جميل العطاء، دائم الآلاء.

وأصلي وأسلم على الإنسان الأكمل والنور الأتم، وآله وصحبه.

هذه كلمات التقطت من عالم الروح..

آخرها ذِكرًا هو أولها طرقًا على أبواب الروح؛ لذا ختمنا بدعاء ومناجاة؛ ليكون آخر عهد القارئ بالكتاب هو أول عهده مع حقيقته؛ إن أحدث الكتاب فارقًا في نظرته لنفسه وللوجود، كما هو الأمل..!!

لا أدري هل سيكون لتلك العناقيد جزء ثان أم أنها بداية ونهاية معًا.!!

إني لمستشرف.. طامع في رحمته.

أحمد

29 ربيع الأنور سنة 1437هـ

10 يناير سنة 2016م

القطرة الأولى

شغف البدايات..

شغف البدايات، ونقاء الفطرة، وسذاجة السؤال، ونظرات الدهشة، والإحساس بالضآلة، والتطلع للمزيد، وحب الارتقاء: غاية منى المنتهين.

معان تختفي بعد التشبع بقليل من حلاوة الإيمان والمعرفة.

والصادق يحرص عليها أو يستدعيها من ذاكرته، ولا يكون كمن ذاق رشفةً فظنها كل شيء، وهو غافل عن كون ما سيق له؛ إنما هو مجرد جزء من كل، ولون من ألوان.

إنها بداية ليستمر، وليست نهاية المطاف ليغتر.

***

القطرة الثانية:

نصيب العقل من معرفة الحقائق

يقول تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1]

ويقول الإمام الماتريدي: (العقول تعرف أسباب الأشياء ودلائلها، أما أن تعرف حقائق الأشياء وأنفسها فلا)[2]..!!

في عام **2010** أصدر الفيزيائي الشهير ستيفن هاوكنج كتابه «التصميم العظيم» ونحت في هذا الكتاب نظرية جديدة أسماها **model-dependent realism**، واعتبر من خلالها أن رؤيتنا للمجرات من حولنا لا تختلف كثيرا عن رؤية الأسماك للحقيقة عبر حوض السمك الذهبي[3]، بل اعتبر أن المخ هو الذي يصنع الصورة ثلاثية الأبعاد للأفلاك حولنا وليست الأشياء في حقيقتها[4]..!!

***

(1) الروم: **7**

(2) تفسير تأويلات أهل السنة، الإمام أبو منصور الماتريدي، **230/8** ط دار الكتب العلمية.

(3) التصميم العظيم، ص **74**

(4) التصميم العظيم، ص **76**

القطرة الثالثة:

مشارف العبودية

إن الإيمان بمحدودية العقل عن إدراك كامل ما يتوجه إليه بالنظر، هو كالإيمان بمحدودية السمع عن سمع كل مسموع، والبصر عن إبصار كل مبصر، وهو كالإيمان بحكمة عليا لا ندرك كامل أبعادها وإن رأينا طرفًا منها.

هذا المذكور هو أول خيوط الوقوف على حقائق الذات، الذي من شأنه أن يفتح للإنسان أسرار الوجود على مصاريعها، وأول درجات الوقوف على مشارف العبودية الحقة للخالق الأعلى، وآخر درجات الإيمان بالقضاء والقدر.

***

القطرة الرابعة:

شهوة المعرفة

إن عملية (الإيمان) تتعلق بالقلب؛ لذا عرفوه بالتصديق الذي يصاحبه إذعان.!

لكن القلب يذعن باطمئنان إجمالي، بينما العقل شغوف بمعرفة التفاصيل، ويقف دون وصوله لكل التفاصيل قدراته المحدودة؛ كرجل يحب الأكل لكنه يعجز عن مزيد منه إذا امتلأ.!

إن حب المعرفة التفصيلية: شهوة، فيها تحميل للعقل ما لا يحتمل.

في دين الله- كما في مراحل الدراسة- أمور لا تدرك إلا بعد تدريب، وأمور لا تدرك إلا بعد وقت، وأمور لا تدرك إلا بعد جهد، وأمور لا تدرك إلا بالذوق، وأمور لن تدرك على حقيقتها إلا في الدار الآخرة، وأمور لن تدرك حتى في الدار الآخرة.!

فرفقًا رفقًا.

***

القطرة الخامسة:

الخلق على مراتب

يقول علم الهدى الماتريدي في تفسيره:

(الخلق على مراتب: فمنهم من يفهم بالعقل، لا يحتاج إلى معونة السمع، وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون الأشياء بالبديهة. ومنهم من لا يدرك إلا بمعونة السمع، وهم كالصبيان، إنهم لا يدركون إلا بالسمع وفضل التنبيه. ومنهم من لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع، حتى تصيبهم الشدائد والغِيَر في أنفسهم وفي ما أُنعم عليهم، وهم كالبهائم الذين لا عقل لهم ولا سمع).[1]

***

(1) تأويلات أهل السنة، علم الهدى الماتريدي، 4 / 508، ط دار الكتب العلمية.

القطرة السادسة

المضِنُّون به على غير أهله

من العلوم ما لا يؤذن بالفتح فيه إلا بعد الإقرار بالجهل بها، وتسليم أمرها لأربابها وتفويض أمرها لله حتى يأذن فيها.!

وقد ترجم هذا المعنى حجة الإسلام الغزالي في «الإحياء»، فقال:

(علم الكاشفة، وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة. وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله.

وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم: بدعة أو كبر.

وقيل: من كان محبًّا للدنيا أو مصرًّا على هوى لم يتحقق به، وقد يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئًا. وهو علم الصديقين والمقربين، وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة.

ثم قال: (وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مُقِرِّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب. كان الإمام الشافعي- رضي الله عنه- يجلس بين يدي «شيبان الراعي» كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي! فيقول: إن هذا وُفِّق لما غفلنا عنه.

وكان «أحمد بن حنبل» رضي الله عنه، و«يحيى بن معين» يختلفان إلى «معروف الكرخي» ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه.

وقال «الجنيد» رحمه الله: قال لي «السَّرِيُّ» شيخي يومًا: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: «المحاسبي»، فقال: نعم. خذ من علمه وأدبه، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًّا، ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديث. أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه)[1].

***

(1) إحياء علوم الدين، حجة الإسلام الغزالي، 1 / 19، باختصار، ط دار المعرفة.

القطرة السابعة:

من أسرار الوجود

لا يلزم من حدوث الإدراك الحاصل بالرؤية البصرية أن يكون بآلة العين.!

فالنظر بالعين من قبيل (الحكم العادي) الذي يصح أن يتخلف، وليس من قبيل (الحكم العقلي) الذي لا يصح تخلفه؛ إذ قد تحدث الرؤية- بمعنى إدراك الوجود على ما هو عليه- بالذبذبات الصوتية كما يحدث مع الخفاش، وقد يكون بالاستشعار الحراري كما يحدث مع البعوضة، وقد يكون بغير ذلك مما يخلقه الله.!

ومن ثم فلا ينبغي أن نعجب مما يقع لبعض الصالحين أثناء إغماض العين من رؤية حقيقية، بل لا ينبغي أن نعجب من رؤية البعض للمحجوب خلف ظواهر الخلق وما تحدثهم به قلوبهم بالعين نفسها التي من طبيعتها عدم اختراق الحواجز.!

الرؤية والإدراك يحدثان عند نظر العين لا بالعين كما قرر العلماء؛ فالعين مجرد سبب في حدوث الرؤية، ولا علاقة بين السبب والمسبب



إلا مجرد (الاقتران) كما عندنا أهل السنة؛ «أما تعيين فاعل ذلك فليس للعادة فيه مدخل بل يعلم بدليل العقل أو النقل»[1].

وقد دل العقل والنقل على قيومية الله على خلقه، وتلك القيومية تعني قيامه في كل لحظة على شؤونهم، لا ينفكون عن قهر قدرته، ولا يخرجون من سلطانه طرفة عين.

فمن خلق النظر بالعين، يخلقه بغيرها من الآلات. وأسرار الوجود أعظم من أن تدرك في هذه الدار.

ومن عرف كبار الحقائق، هانت عليه خفيات الدقائق.

***

(1) شرح متن أم البراهين، للإمام السنوسي، ص11، مطبعة الإستقامة.

القطرة الثامنة:

الروح هي الأصل[1]

الروح سارية سابحة، لا تحد ولا تقيد، متطلعة لعالم الملكوت، ولا تقنع بعالم الملك؛ لكنها عالقة بالجسد ما بقي هنا، مشدودة إليه

(1) إيقاظ: من الغيب ما استأثر الله بعلمه، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومنه ما يأذن الله به لبعض خاصته كأنبيائه ورسله وأوليائه على سبيل الكرامة كما وقع مع سيدنا عمر في قصة سارية المشهورة، والوقوع أقوى أدلة الجواز..
والغيب كل ما غاب عنا، وعكسه الشهادة، وقد غابت عن حواسنا معان روحانية لا نقف على حقيقتها إلا بالمجاهدة بإذن الله من باب (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) وبعضها لا يتأتى إلا من هذا الباب كقوله تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)؛ فالاطلاع على حقائق الوجود وخطرات النفس واليقظة أمام وساوس الشياطين والفيض الإلهي ببعض المعاني التى تحجبها الشهوات، كل ذلك من الهداية المأذون بها والموعودة من قبل الله تعالى كقوله (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى).. فهذا هو المقصود هنا.
أما الروح: فهى ذلك السر الإلهي الموجود فينا والذي به نحيا وبه نسمو، وغالبا ما تذكر في مقابلة الجسد كتعبير عما به ننحط..
أما العقل: فآلة الميز، كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه، أي الأداة التى بها نميز..أو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات،كما عرفها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري..
أما القلب: فهو في الشرع رأس الأمر لأنه ملك الجوارح إن صلح صلحت..
وأما النفس: فتعبير عن الذات الإنسانية أحيانا، أو تعبير عن الشهوات الباطنية أخرى؛ لذلك يحثون على مجاهدتها وتربيتها وتهذيبها..
وللفلاسفة كلام طويل في التمييز بين هذه المصطلحات لا يسلم من اعتراض وتعسف، وما ذكرته يغنى ويكفي لمن رام العمل لا الجدل.

بعقال، على خلاف طبيعتها السارية الشفافة وسرها. فالجسد قيد يربطها ويقيد حركتها؛ فإما أن تظل فيه لا تغادره إن قويت قيود الجسد عليها بالشهوات، وإما أن تتحرر منه إن خفت ولم تقيدها شهوة.

نعم ستظل عالقة، لكنها ستأتيه بأخبار وأسرار عوالم الغيب الخفي.!

الروح هي الأصل، والجسد عارية من الأرض وسترجع من حيث أتت يومًا.

وحقيقة (الإنسان) كامنة في روحه، فالسعادة والشقاء والغضب والرضا وسائر (المعاني) حق خالص للروح، ليس للجسد فيها أدنى نصيب.

(المعاني) من الروح، وهي غير متناهية مثلها، أما (الألفاظ) فهي متناهية؛ لذا ستظل جُلّ المعاني مقيدة بقيود ما نستطيع التعبير عنه، مهما بلغ علمنا باللغة، وستظل اللغة محاولة، مجرد محاولة؛ لوصف ما لا يوصف، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه إلا بالذوق، أو بـ(التلبس) به في عالم (علم اليقين).

وحتى إن وقع هذا التلبس؛ فلن يكون إلا من باب (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا) ما بقينا في هذه الدار.!

***

القطرة التاسعة:

اليقظة أول المدارج

إذا علمنا أن لله تعالى في كل قول وفعل: حكم؛ فإن استجابتك لكل ما يصرفك عن الله ويُنسي ذكره ويُخرج عن أمره ويُضاد مراده، يجعلك تلقائيًّا من حزب الشيطان.!

تأمل قول الله تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1].

والشيطان هو الطاغوت الأكبر، وعجلته لا تتوقف عن الحركة، فتأخذ في طريقها الغافل الوسنان؛ فإما أن تكون من أولياء الله أو من أولياء الطاغوت، ولا ثالث.

وقد تكون في حزبه ومن أوليائه دون أن تدري.!

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2].

(1) المجادلة: 19

(2) النساء: 76

القطرة العاشرة:

يقظة

- كان لي حال مع الله، وصلت بها لدرجة أنني كنت أستطيع قراءة عقل من أمامي وأعرف فيم يفكر.!

= وتلك نعمة لو حافظت عليها.!

- لا، لم أحافظ عليها.!

= كيف؟

بَعُدْتُ عن الله، وتركت قيام الليل، والأذكار الراتبة، وزيارة القبور، وسائر النوافل، ولم أعد أذكر الله إلا قليلًا. ضاقت نفسي فصرت أغضب لأقل سبب، وأرى أن أي كلام من أي شخص؛ هو كلام سيء يقصد به توجيه إهانة خفية لي، انشغلت بالدنيا، وصرت أُحَمِّل الأمور أكثر مما ينبغي.!

= هذا من شؤم البعد عن الله.

- نعم، أعلم هذا. لكن المشكلة ليست هنا.!

= فأين المشكلة إذًا؟!

- المشكلة أن تقديري للأمور، وشفافيتي انعكست.

= كيف؟!

- لما كنت صاحب حال.. كان قلبي يحدثني عن أحوال الناس وطباعهم، وغالبًا ما يصدق حدسي وتوقعاتي، لكننى لما بعدت وأهملت صرت أرى بعض الناس ممن لا علاقة لي بهم فأجد في قلبي بغضًا ونفورًا لا أعرف لهما سببًا. كنت في الابتداء أُصَدِّق نفسي سيرًا على قانوني المعهود، لكنني مع الوقت اكتشفت أن مَن أُبغضهم من خيرة الناس، خاصة حين أقترب منهم في معاملة أو مجالسة. ومن هنا بدأت اتهام نفسي.

= وكيف اكتشفت انقلاب موازينك؟!

- لم أكتشف ذلك دفعة واحدة. لكنك قد تعجب إن قلت لك عن موقف واحد منها مما أثر في نفسي، وكان من الأسباب التي جعلتني أعيد التفكير في موازيني وعلاقتي بالله.!

= وما هو؟!

- كنت قد واعدت بعض الأخيار للقاء في صلاة العشاء بأحد المساجد، وأنا على يقين أنه من خيار الناس وأفاضلهم. ذهبت إلى

المسجد واصطففنا صفوفًا. دخل بجواري رجل لم أعرفه لكنني كنت أجد ضيقًا في الصلاة من هذا الرجل دون سبب واضح؛ لدرجة أنني بعد انتهاء الصلاة مباشرة قمت من الصف لا ألوي على شيء؛ حتى لا أطيل الجلوس بجواره. كل هذا والرجل لم يتسبب لى بأي أذى مادي ولا معنوي ولا علاقة لي به أصلًا.!

= ثم!!

- ثم جلست في آخر المسجد منتظرًا صاحبي، فإذا بي أفاجأ أنه هو الذي كان بجواري في الصلاة.! من يومها وأنا علمت آسفًا أن الله قد سلب مني ما قد أعطى، بل زاد عليه بغضًا في قلبي للأخيار.!

= السبب واضح يا صديقي، فأنت الذي تغيرت، ومنك حدث الإعراض!! وفي كتاب (الداء والدواء) لابن القيم سرد لآثار الذنوب والمعاصي، و ما ذكرته معدود منها؛ فالمعاصي تزيل النعم، وتُمرض القلب، وتُعمي البصيرة.!

- أترى شيخنا أنني إن عدت عادت المنح، أو ظلت منقطعة مسلوبة.!

= تعود المنح وربما زادت، وربما لا تعود بصورتها الأولى بل قد تأتيك في صور أخرى تكون أكثر نفعًا لك، لكنني حزين عليك.

- وأنا حزين على نفسي، فبم تنصحني؟!

= أنصحك ألا تثق في تقديراتك ولا في تقييمك للأشخاص في حالتك الراهنة؛ حتى لا تعادي أولياء الله، وربما كان بغضك لشخص علامة لك أنه على خير، اتهم نفسك، واعلم أن كل الناس خير منك، والزم الضعف والمسكنة وأدمن قرع باب الكريم، مع كثرة الذكر. استمر على هذا حتى يفتح الله لك.

- وهل يفتح الله لي مرة أخرى؟!

= عِلْمُك بالسلب بعد العطاء، وحزنك على نفسك يقظةٌ مَنَّ الله بها عليك. واليقظة أول مدارج السالكين، فارجع إلى عهدك الأول تجد ربًّا رؤوفًا رحيمًا، يقول لك (من أتاني يمشي أتيته هرولة)، وكرر في سجودك، ولا تمل من الإلحاح على ربك: اللهم إني أعوذ بك من السلب بعد العطاء.

***

القطرة الحادية عشرة:

استشراف

أنوار خافتة متفرقة تظهر في العتمة، تقوى وتنير، ثم يأذن الله باجتماعها فتتعانق أشعة النور وتلتحم؛ فيتحول الظلام الحالك إلى نور ساطع.

ومن يؤذن له برؤية تلك النجوم المتفرقة في ليل العتمة قبل التئامها؛ فهو الأكثر استمتاعًا وشعورًا بالسعادة واليقين.!

رغم كل آلام المخاض؛ فإن بقع النور ظهرت وفي طريقها للالتحام.!

***

القطرة الثانية عشرة:

الرزق معنوي

على النقيض مما يظن غالب البشر؛ فإنه لا رزق إلا معنوي، وما كان منه مادي فمن المعنى جاء.!

فالأموال، والعقارات، والسيارات، والجاه؛ رزق، لكن المحبة والرضا والعافية وسلامة الصدر من الرزق أيضًا.

والحق أن كل الأرزاق المادية تولدت من معنى من المعاني؛ كتولد مال التاجر من حسن ظن الناس وثقتهم فيه، فهذا (المعنى) كان دافعهم للتعامل معه. وهو لم يصل لهذه الدرجة في قلوب الناس إلا لِمَا تحلى به من معاني الصدق والوفاء بالوعد ونحوها.

وهذه المعاني تتولد في النفوس بقدرة الله؛ لذا نقول: إن الرزق بيد الله وحده لأنه خالق تلك المعاني في النفوس.

وهذا من أسرار ارتباط الرزق بالطاعة؛ لأن من ثمرات الطاعة توليد تلك المعاني التي لا توصف.

وقد يأذن الله ببعض تلك المعاني لبعض مَن ظاهرُه المعصية؛ رحمة وكرمًا، أو استدراجًا وإمهالًا؛ إذ هو خلاف الأصل.!

***

القطرة الثالثة عشرة:

الإنسان قبل البنيان

- لماذا تبدع الحضارات المادية في إنشاء المباني الضخمة وتتفنن في مظاهر عظمتها ورقيها وتقدمها؟

ولماذا تهتم ببناء المدن والملاهي وأماكن الترفيه، وتعمل على تلوين حياتها بألوان البهجة والسرور؛ أكثر مما نجد مثيله أو نصفه في الحضارات الإيمانية، إن وجدنا لتلك الحضارات ما يدل على وجودها القديم من آثار أصلًا؟!

- لأن إنسان الحضارة المادية يظن أن سعادته شيء خارج عنه، بعيد عن ذاته؛ فيذهب ليطلبه تارة في مسكن مريح ضخم، أو ترفيه وتسلية، أو مأكل ومشرب.

إن كثرة مظاهر البهجة وتنوعها في الحضارات القديمة وحضارتنا الحالية، يدل على أن ما بناه الإنسان أولًا لم يشبع نهمته، ولم يجد فيه ما كان مأمولًا من سعادة؛ فراح يبذل في غيره المال والجهد؛ عله يجد بغيته المفقودة وسعادته المأمولة.!

أما إنسان الحضارة الإيمانية؛ فإن سعادته نابعة من داخله؛ حيثما حَلَّ فجنته في صدره. وما البناء الضخم، وما الترفيه، وما المأكل والمشرب بجوار ما يجده في نفسه من لذة اليقين وبرد الطمأنينة؟!

وهما- اليقين والطمأنينة- مطلبان كبيران يلهث وراءهما إنسان المادة، ولن يصل إليهما.!

أما بناؤه: فأضخمه وأعظمه ما يزيد تلك اللذة الروحية؛ لذلك كان أعظم ما أنتج الفنان والمعماري المسلم: المساجد وما في حكمها؛ لأنها نافذته على تلك اللذة ودالة عليها.!

أما أبنية الدنيا؛ فتكون على قدر بقائه فيها، بالقدر الذي يبلغه حياته الحقيقية، التى فيها مالا ينقطع من اللذات والبهجة والسرور.!

***

القطرة الرابعة عشرة:

المرأة والولاية

كانت (رابعة العدوية)- رضي الله عنها- بألف ألف رجل.!

عجبي لا ينقضي من قلة من كمل من النساء؛ إذ المرأة كيان روحي حساس، مشاعر دفاقة، ووجدان غالب؛ فتذوقها للعبادة أعظم، ولمعاني الوجود أتم، واستعدادها كامل بغلبة وجدانها وتدفق مشاعرها.

فقط، تحتاج تلك الطاقة الروحية وهذه الشفافية الفطرية إلى أن تتوجه إلى معرفة الله وحده، والانشغال به عما سواه، واحتساب أوقات عملها في بيتها أو غيره لله، مع الانشغال بالذكر وحفظ اللسان.!

إذا فَعَلَت، سبقت الكثير من الرجال، دون عناء.!

***



القطرة الخامسة عشرة:

جمال نبوي ونقصان بشري

مخلوق ضعيف رقيق، قوته في ضعفه، لا يملك نفسه عند الحزن أو الفرح، ولا يبين عند الخصومة والشجار؛ لذا جعل الله شهادته على النصف من شهادة غيره، وخفف عنه من العبادات أوقات ألمه ووجعه؛ مراعاة لحاله.

وهو مع هذا يذهب بلُبِّ أعقل العقلاء وأحكم الحكماء، ويقلب حاله ويشقلب كيانه، حتى ينسى الحكيم نفسه، ويفقد العاقل توازنه؛ فيصير كطفل بين يدي أمه.!

هل ترون في هذا ما يشين؟!

حسنًا..

اقرأوا:

(ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب لِلُبِّ الرجل الحازم منكن)[1]

(1) رواه البخاري، باب ترك الحائض الصوم رقم **304**، وباب الزكاة علي الأقارب رقم **1462**.

هذا كلام رسولنا ﷺ، الذي قاله- يوم عيد- لجمع من النسوة على سبيل الممازحة، إذ أخلاقه الشريفة الكريمة تأبى أن ينطق إهانة لأي مخلوق، سيما يوم فرح الناس وعيدهم.

ممازحة لا تحوي أدنى إهانة، وإن تضمنت حقائق مقبولة.

فتبًّا لمن يقلب الحقائق، ويظهر غاية الحسن والجمال النبوي في صورة القبح والشناعة، وما ذاك إلا لقبح المخبر وشناعة الباطن.

وكُلٌّ يرى الناس بعين طبعه.

***

القطرة السادسة عشرة:

الصبر الجميل

وفي قوله عز وجل «فاصبر صبرًا جميلا»[1]

قيل: الصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه، والصبر الذي لا جزع فيه هو أن يصبر صبرًا لا يرى عليه أثر الصبر، بألا يظهر في وجهه كراهة ولا عبوسة، وهو أن ينظر إلى من آذاه بعين الرضا والشفقة ليس بعين السخط والكراهية.

أو الصبر الجميل: ألا يكافئهم ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه.

وقد كان- عليه السلام- كذلك مشفقًا بهم رحيمًا، حتى بلغت شفقته ورحمته وحزنه على كفار قومه مبلغًا كادت نفسه تهلك فيها، كما قال تعالى: «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ »[2]، وقال: « فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ [3]».

(1) سورة المعارج: 4.

(2) فاطر: 8

(3) الكهف: 6



فالرسل – عليهم السلام – كانوا إذا أوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا، بل كانوا يحزنون لمكان من يؤذيهم؛ خوفًا من أن يحل بهم الهلاك والبوار بإيذائهم رسل الله تعالى)[1].

***

(1) تفسير «تأويلات أهل السنة»، علم الهدى أبو منصور الماتريدي، 10 / 199 وما بعدها.

القطرة السابعة عشرة:

لذات الدنيا

لذات الدنيا مهما عظمت فإنها مشوبة بآفات: الانتهاء، والملل، وكونها محدودة بقدرات الإنسان الطبيعية.!

وطالبو الجنان من أعظم الناس محبة للنعيم واللذات، لكنهم صبروا لينالوها تامة بلا انتهاء ولا ملل ولا حد.

وأعظم اللذات: لذائذ المعاني التي لا تدرك إلا بالروح، ولا تكون لذائذ الأرواح تامة إلا حين تسكن إلى الله، مستضيئة بنور وجهه الذي أشرقت له الظلمات.

***

القطرة الثامنة عشرة:

رحمة سارية

إن إدراك الرحمة السارية في الوجود: أول آثار الإشراف على تخوم عالم الروح، وهي التي تُكسِب اليقين بعظمة الخالق الذي وضع جزءًا واحدًا منها في خلقه، واحتفظ بتسعة وتسعين منها.

إدراك الرحمة السارية فى الوجود: يولد رؤية آثارها والتخلق بها.

وبدون هذه المعرفة وذاك اليقين؛ يكون الناس كالأنعام بل هم أضل.!

***

القطرة التاسعة عشرة:

من أسرار الوجود

- ليس العالم ما نراه، ومن قصر علمه على الظاهر: فاته خير كثير.!

= ماذا تقصد؟!

- تقدمت لترقية وظيفية أكثر من مرة، ولم أوفق؛ إذ من متطلباتها مذاكرة بعض الكورسات، واجتيازها بنسبة معينة، مما يحتاج لتركيز شديد، تحول دونه مطالب الحياة. بذلت وسعي مع إصرار على النجاح. ولما قرب موعد التقييم الذي يتطلب مقابلة شخصية، لجأت إلى الله بعجزي وقصوري وقلة حيلتي. اعتكفت في المسجد، ودعوت الله متلمسًا ساعات الإجابة، وخطر ببالي الدخول على الله لا بنفسي المقصرة ولكن بغيري؛ فابتغيت الوسيلة بسيدنا محمد- ﷺ- وبما أرجو من عملي الصالح، وهذا مما أجعله في دعائي كثيرًا، ثم خطر لي أن هذا الأمر مما يدخل السرور على أمي وأبي لو تم، فطلبته من الله من هذا الباب، ثم خطر لي أيضًا أن أتوسل بعمل أبي؛ إذ هو رجل صالح

ذاكر قوام منفق، وألححت في ذلك وجعلته ديدني، حتى جاء موعد المقابلة الشخصية.!

= وهل زدت في استعدادك لها، أم ركنت إلى ما ذكرت وحده؟!

- الحق أنني استعددت ولم أستعد، فلم أزد عن استعدادي السابق ما يحدث فرقًا.!

= فماذا حدث؟!

- لقد التأمت تفاصيل وأحداث في لحظة محددة، مما لا يتفق اجتماعه في غالب الاعتياد؛ ليقع المطلوب على الصورة التي تواردت عليها إرادة الله وإرادتي القاصرة.!

= وهذا هو التوفيق.

- لم يقف الأمر عند هذا، فليس الأمر توفيقًا فقط، مع إقراري به.

= كيف؟!

- كنت قد رأيت قبلها بأسبوعين رؤيا بنجاحي وحصولي على الترقية، كما أخبرني صديق قبل المقابلة بيوم بأنه رأى لي رؤيا أيضًا فيها بشارة، مع أنني لا أتواصل مع هذا الصديق كثيرًا، لكنني فوجئت برسالته تلك التي يبشرني فيها برؤياه.!

= نعم، هذا قد يحدث.!

- لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد ذهبت إلى موعد التقييم النهائي، وأديت أداء عاديًّا، ثم وفقت في المقابلة الشخصية لدرجة كبيرة غير متوقعة، وحدثت تفاصيل كثيرة، رأيت فيها عناية الله بي ودخولي في ذمته.!

= دخولك في ذمته.!

- نعم، فقد صليت الفجر في هذا اليوم بنية الدخول في ذمة الله، كما ورد في الحديث.

= جيد.

- بعد المقابلة رأيت هاتفي، فوجدت أن زوجتي قد اتصلت بي، لكنني لم أرد عليها. اتصلت بها بعد الانتهاء، فوجدتها تقول: إنها نامت بعد أن ودعتني صباحًا فرأت رؤيا. رأت أنني أرتدي بدلة جميلة لها أكتاف عالية، أعطاها لي أبي وأمي.!

فعلمت أنها استجابة دعائي وتوسلي بأبي وأمي، وأن الله تعالى أراد أن يدخل السرور على قلبيهما في صورتي.!

= أفهم ما تقول. وكثيرًا ما أتمثل قول الشاعر: الكون مشحون بأسرار.. لو حاولت تفسيرًا لها أعياك.!

***

القطرة العشرون:

لا ذكاء بلا توفيق

ذوو الذكاء يسعون إلى توظيف ذكائهم، ويحبون الشعور بتميزهم، ويرغبون في تحصيل عوائد مواهبهم.

ثم..

يكون هو مقتلهم ونقطة ضعفهم؛ إذ ينقلب ذكاؤهم إلى غباء، ومواهبهم إلى خذلان، باختياراتهم هم التي فيها من عبودية الذات أكثر من عبودية الله.!

وما ذاك إلا من (الحرص) الذي أذل أعناق الرجال.

ولا يكون (حرص) إلا ويسبقه (عجب)، ممزوج بـ(وهم)، ولا يقع هذا إلا بعد نزع غطاء التوفيق، وتوكيل العبد إلى نفسه.!

***

القطرة الواحدة والعشرون

مس وذوق ومعاينة

بلاء الدنيا ونكدها – مهما بلغ – فهو (مس) فيه معنى اليسر والخفة.

تأمل:

(وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم)[1].

أما رحمته – سبحانه – في الدنيا فهي (ذوق) كأنما يمر على اللسان فنشعر بطعمه ونستمتع بمذاقه، رغم أنها جزء واحد من مائة جزء.

تأمل:

(وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ)[2].

أما رحمته – سبحانه – في الآخرة فهي (معاينة) للعذاب، و(انغماس) في الرحمة. لا مجرد (ذوق).!

***

(1) الروم: 33

(2) الروم: 36

القطرة الثانية والعشرون:

توالي الأعوام؛ لا يحدث فرقًا

لا فرق يحدث على الحقيقة بتقدم الثواني والدقائق، ولا وجود لفاصل حقيقي بين يوم وآخر ولا عام وآخر، إلا في الأوهام، التي اصطلحنا على تسميتها أيامًا وأعوامًا.

اللهم إلا ما تصنعه أيدينا من فرق وما تكسبه قلوبنا من معرفة وترق؛ فكل مدرج معرفي، وكل سلم يصعد بك إلى المعالي؛ هو في الحقيقة عامك الجديد، وإن لم يكن عند الناس كذلك.!

إن تحويل تلك الأوهام إلى حقائق يتناسب مع ضعاف القلوب والعقول.

وقد راعى الإسلام هذا؛ لأن بعض أتباعه يميل ليكون كعباد الصور؛ فجعل رسول الله عيدين بدلًا من أعياد أهل الكفر، وأمره الله بقوله ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[1] مع تأكيد الشريعة على معانيها الإلهية؛ وذلك لغلبة الغفلة على الناس ولعدم انفكاكهم عن المحسوس في الغالب، فغالب البشر يثق بما يقع تحت الحواس الخمس.

---

(1) إبراهيم: 5

والخروج عنها إلى المعاني التى لا ينالها الحس: صعب.!

والوقوف على الصور دون الحقائق، وعلى الرسوم دون المعاني؛ من فعل أهل الغفلة والضلال، فلنبحث عن المعنى، فمن وجده فقد ظفر.

ولن يمل من البحث إلا من صرفه الله، فلندمن قرع الباب؛ علنا نصل بعد سبع سنين، بسني الحقائق لا الأوهام.!

مرت سنون بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيام هجر بعدها ... فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون ... وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

***

القطرة الثالثة والعشرون:

نهر المحبة السرمدي

إن طاقة الحب التي جعلها الله في قلوب عباده مشدودة بالأساس للخالق الأعلى سبحانه، ورسله الكرام، وما لم تتوجه تلك الطاقة لمكانها الطبيعي الفطري؛ فإن القلب الغافل سيولد من يتوجه له بتلك الطاقة فيوجهها لهواه، أو لأبطال من ورق من بني جلدته.

أو يقوم خياله في أغلب الحالات بتصنيع صورة غير حقيقية مبالغ فيها حول بعض فروع الحب الالهي، أو ما يجب أن يكون من روافد الحب الإلهي، لوجود معنى الروح فيه.

أعني حب الرجل للمرأة، والمرأة للرجل، ذاك الميل الطبيعي الذي لا يقوم بنفسه؛ فهو إما أن يستند إلى محبة الله لتكون له رافدًا، أو يستند إلى الخيال ليُكَوِّن صورة مبالغًا فيها عن هذا المحبوب.!

لذا تجد من خلى قلبه من نهر الحب الإلهي يدور جل حديثه عن تلك المحبة التي لا تقوم بذاتها- والتي تنتهي بمجرد الحصول على بعض رشفاتها، والتي تُملُّ مع الوقت- فتصبح حديث جُلّ حديث القوم وحواراتهم.

وما ذلك إلا لافتقادهم الري من نهر المحبة الحقيقية. كالعطشان يحلم دائمًا بالماء.!

أما من لم يفصل جداول النهر عن منبعه فمحبته لبعض البشر دائمة لا تنقطع ولا تمل، مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الظروف، دونما ادعاء ولا إكثار حديث؛ لاستمدادها ممن له البقاء السرمدي سبحانه.!

***

القطرة الرابعة والعشرون:

فعل الحب بالأبدان والأرواح

= قال: أحببتها حبًّا جمًّا، وكنت إذا علمت حبها لأمر تعنيت لتنفيذه مهما كلفني، فكانت تحب: أغاني (...)، وكنت أذهب لكبار الموزعين بالقاهرة لأحجز نسخة قبل غيري؛ لأذهب بها إليها إدخالًا للسرور على قلبها. كنت أنتظرها تحت بيتها في الشمس ولا أريد الوقوف في الظل؛ لأن مكان الظل بعيد وسيجعلها تمشي مسافة كبيرة. وكنت أستمتع بحرارة الشمس؛ لأن حلاوة انتظارها تذهب عني حر الشمس.

== قلت: هكذا يفعل الحب، أمور لو عرضت على ضوابط العقل وقوانينه ما علم لها تفسيرًا. ولن تجد لتصرفات المحب أي تفسير سوى أنه محب. فكان (قيس) حبيب (ليلى) يذهب إلى دارها الفارغة ليطوف بها وهي غير موجودة بها؛ لأن الجدار يذكره بها.

= فهل لديك لهذا الفعل من تفسير؟!

== هكذا ركب الله نفوس البشر؛ إذا أحبت أتلفت نفسها من أجل محبوبها وصار هذا الإتلاف متعة حسية تشعر بها في جوارحك، لا معنوية فقط.!

= إذا كانت نفوسنا مركبة بهذا؛ فلم لا نشعر بهذا تجاه الدين وأحكامه؟ هل لأنه يشمل تكاليف شاقة؟

== نعم، تكاليف الشريعة فيها مشقة، لكنها محتملة لا مستحيلة، لكن المشكل أن تعليم أحكام الشريعة الفقهية منبتة الصلة بكل من (العقيدة) التي بها نصل عقلًا إلى وجود الله وندرك من خلالها صفاته سبحانه، ونوقن به تعالى فنراه في كل شيء، وبغير (التزكية) التي من خلالها نحب الله ونتعرف إليه؛ لتتلف النفس في حبه زهدًا في الدنيا ورغبة فيما أعده لأصفيائه؛ يجعل أحكام الله كالقوانين؛ نحاول التحايل عليها، أو التفلت منها، وإن طبقت فبلا روح، أي بلا حب!!

لذا ستسمع جدالًا كثيرًا حول جزئيات الشريعة يستبطن الاعتراض؛ مثل: تحريم سفر المرأة وحدها الذي سيصبح قيدًا ثقيلًا على الكثيرات، والصلاة التي ستشبه حركات اليوجا، والحجاب الذي سيكون في هذا الحر قيدًا وعذابًا. والامتناع عن الخمور الذي سيصبح بلا جدوى إن ظهر للقليل منها فوائد صحية.. الخ. ثم قارن حال الصحابة والصحابيات لما كانت تتنزل عليهم أوامر الله بعد سنوات التربية والبناء.

= بمعنى!؟



== بمعنى أن كل جدال في أحكام الله، وكل محاولة التفاف، وكل محاولة للتحايل أو التخلي لا تدل إلا على قلب لم يعرف حب الله طريقًا، ولا الأنس به تعالى مسلكًا. فلنعقد المجالس للحديث عن الله، قبل أن نحدث الناس في أحكامه، وقلب المحب لمن يمحب مطيع.!!

❊❊❊

القطرة الخامسة والعشرون:

مساكين، أهل الهوى!

ما رأيت أتعس من فئة أهل الغناء والفن؛ إذ ارتبطت حياتهم وشهرتهم بما لا يد لهم فيه، وما هو زائل لا يدوم: الجمال، خفة الدم، البهجة.

لذلك تخفت حولهم الأضواء إذا ما تعرض أحدهم لما هو مضاد لهذا الذي هو علة وجودهم؛ ولذلك يلهث أحدهم ليصارع الزمن بعمليات التجميل، أو طبيعته البشرية بإظهار البهجة، حتى يجري عليه ما يجري على البشر؛ فيمرض وحيدًا ويموت مكتئبًا.

فلا هو في حياته عاش كما هو، ولا هو في مماته مات كما تمنى.!

ومن يتب منهم؛ فإنه لا يفعل إلا بعد ذوق مرارة أن تعيش لاهثًا وراء ما لا يُدرَك، أو متمنيًا ما لن يتحقق.!

أدعو الله لهم بالهداية؛ فإنهم مساكين.!

***

القطرة السادسة والعشرون:

تبشير وإنذار

وفي قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)[1] تبشير وإنذار.!

فإنذار؛ لأنه إعلام للكافر برجوعه إلى ربه، ووقوفه بين يديه، وسؤاله عما قدم؛ فهو مجزي بعمله، مؤاخذ به.

وتبشير؛ لأن المؤمن إذا كان حسابه إلى الله لا إلى غيره؛ رأى ربًّا رؤوفًا رحيمًا؛ فتشمله عين الرأفة، وكمال الرحمة، وتمام الإنعام.!

***

(1) البلد: 26

القطرة السابعة والعشرون:

الترقي الروحي

(الترقي الروحي) هو مقصد التكاليف الظاهرة، وحقيقة الإسلام، لكنه ذو درجات ومصاعد، يرتقيها من اتصف بـصدق التوجه، وتجريد الغاية، مع ملازمة الذكر والفكر.

وبحسَب همتك تكون.!

فاستعن بقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[1].

ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة، ومن يصدق الله يصدقه.

***

(1) الفرقان: 59

القطرة الثامنة والعشرون

السبيل إلى شيخ مرب

- كيف السبيل إلى شيخ مرب يرتقي بالروح في مدارجها، ويأخذ النفس من غفلاتها؟[1]

- قالوا: إن من تشوف إلى التربية على يد شيخ مرب، ممن ورث عن رسول الله- ﷺ- أحواله؛ فعليه:

1. أن يعلم بأن "الأرض لا تخلو من نبي أو ولي"، كما هو نص الإمام الأعظم فيما نقله عنه إمام أهل السنة علم الهدى الماتريدي في تفسيره.

2. أن يخلص القلب لهذا المطلب حتى يحصل فيه صدق التوجه؛ فما أجمل الكلام وما أقل الأفعال؛ فالتربية تقتضي الإرشاد والتوجيه، وحتى يحصل للشخص الترقي الروحي والأخلاقي لا بد من الأخذ بما يوجه إليه الشيخ والتزامه

(1) لو تحدثنا عن التربية العامة فهذه لا يشترط فيها الأخذ عن شيخ مرب بل قد يربي الإنسان توالي الأيام وقد يربيه بعض الفجار.. أما التربية الخاصة فلها شروط واعتبارات بحسب القوم، وهي المرادة هنا.

التزامًا تامًّا. وكثير من الناس يريد اتباع هواه أو يدفعه مجرد الفضول؛ فيضيع أوقات المشايخ قبل أن يتركهم؛ لذا يضنون بأوقاتهم الثمينة فلا يضيعونها في الجدال وكثرة السؤال.

3. أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ؛ فالكل من نوره يلتمس.

4. أن يعمل على إصلاح قلبه بحضور مجالس العلم والتزكية، وقراءة ما تيسر من أبواب أمراض القلوب، وسؤال من يظن فيه الخير عما يشكل عليه.

5. التزام الفرائض والسنن وكثرة الذكر حتى يأذن الله له، ويفعل به ما يشاء.

6. أن يسأل الله بصدق أن يدله على من يدله عليه؛ فإنه واجده لا محالة، إن تحقق بصدق التوجه وأخلص النية.

فاللهم ارزقنا صدق القول، وصدق العمل، وصدق النية.

***

القطرة التاسعة والعشرون:

علاج الفتور

- ما السبيل مع النفس إن اشتد فتورها؟!
- مداراتها؛ بالتزام الفرائض، وتغيير ما اعتادت من نوافل؛ لأن قمع النفس وإماتتها في بداية الطريق صعب، ويكاد يكون غير ممكن، فلابد من سياستها حتى نلتف حولها؛ وذلك لن يكون إلا بعد الاعتياد التام على الطاعات والامتلاء بالصالحات، فإذا حدث هذا أمكن التصريح بمعاداتها وإعلان الحرب عليها؛ لأنها قريبة عندئذ من الموت.

أبواب الخير كثيرة؛ فإذا ملَّت النفس من صلاة نافلة فلتتصدق نافلة، وإذا ملَّت من قراءة القرآن فوق الورد فلتذكر الله فوق الورد، وإذا ملَّت من صلة الرحم فلتزر مريضًا دون قطع الرحم، وإذا ملَّت من مجلس علم فلتزُر القبور.

وهكذا، حتى تلين فتجمع بينها جميعًا.

إن في التزام الفرائض تقوية، وفي الإبقاء على النوافل تسلية، وفي تغيير صورتها تسرية.

القطرة الثلاثون:

أصل كل داء قلبي

يقول سيدي أحمد زروق:

(أصل كل داء قلبي إنما هو فساد القصد، الذي عنوانه الرضا عن النفس؛ حتى يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الشرعي والتحقيقي، بل على وفق الهوى والأوهام الباطلة، التي منشؤها ضعف اليقين ورقة الديانة، وتفصيل ذلك يطول)[1].

فساد القصد: هو عدم إرادة وجه الله ورضاه، بل ربما إرضاء الناس أو النفس.

والرضا عن النفس: هو اعتقاد أفضليتها، وأنها على خير، وأنها لا تحتاج إلى تربية أو تعليم.

وفساد القصد نعرف وجوده في أنفسنا حين نرضى عنها.!

***

(1) (اللوائح الفاسية، أحمد زروق).

القطرة الواحدة والثلاثون:

غفلات القلوب منافذ الشيطان

نص القرآن على أخوة المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]، ونص على عداوة الشياطين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[2]

وإذا كان المؤمن مطالَبًا بالتثبت من أخبار الناس والتحقق من صدقها؛ أفلا تكون المطالبة أشد في وسوسات الشيطان وما يلقيه من ظنون وهواجس؟!

غفلات القلوب منافذ الشيطان إليها؛ ليتلاعب بالجوارح كما يشاء بعد إحكام السيطرة على الملك.

مراقبة الخطرات، ومتابعة الهواجس، واليقظة حال الوساوس: طريق النجاة.

ولا نجاة إلا بالدخول في حمى الله إذ إنه ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[3].!

فلا تدَعوا للشيطان فرجة في قلوبكم.

***

---

(1) الحجرات: 10

(2) فاطر: 6

(3) الحجر: 42

القطرة الثانية والثلاثون:

أرح نفسك من التدبير

من علم أن السعادة في الدنيا لن تخلص دون منغصات أراح واستراح، كشارب ماء؛ لا يستغني عنه رغم احتمال حدوث الشرقان مع كل شربة.!

فإن رأيت الكل من الله، لم تشغلك الصور ووجدت النعيم في الحالين[1].!

***

(1) إيقاظ: إن أفعال العباد- وفقًا لمذهب جمهور أهل السنة- يجتمع فيها مؤثران:
الأول: من الله تعالى، ويتمثل في إعطاء القدرة والاستطاعة وسلامة الآلات وصحة البدن أو سقمه الذى هو بيد الله وحده مع تهيئة ظروف بيئية اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة لا دخل للإنسان فيها. وكلها أمور تؤثر على اختيارات الانسان لا ريب.
الثاني: من الإنسان، فهو مكلف مختار محاسب واختياراته حرة وفق ما هيأه الله له من ظروف وآلات.
أما فهم ماهية وحقيقة العلاقة بين الأمرين على الوجه الأمثل فليس فى هذه الدار! وليس في هذا الكلام ما يأباه العقل السليم.

القطرة الثالثة والثلاثون:

أرواح لا تبغي القيود

ما الذي تفعله الأماكن المفتوحة بالنفوس والأرواح.!

كم نخسر من أوقتنا وأعمارنا داخل تلك المعلبات المسماة اليوم بالشقق، وكم ظلمت هذه الأجيال التي لم تعش في فضاء مفتوح أو في (دار وسيعة) كما في التعبير النبوي.

إن نفوسنا تضيق، وأرواحنا تختنق بقدر ضيق المكان أو اتساعه، ثم نشكوا من كثرة الخلاف وضيق الأخلاق.!

ما أقسى أن نحجب عن هاتيك السماوات المفتوحة بهذه الأسقف التي صنعناها بأيدينا.!

إن الاتصال المباشر بالطبيعة تذكير للنفس أننا وإن كنا محدودين بحواسنا؛ فإننا لا نهائيين بتطلعاتنا، ولا نهائيين حين نلتحم بالطبيعة التي تبدو لنا لا نهائية، ولا نهائيين بمستقبلنا حيث الخلود.!

ما أجمل نجوم السماء حين تكون صافية، بل ما أجمل سحبها وغيومها، وما أجمل تنوع ألوانها حين نذوب فيها لنوقن ولو للحظات

أن الحياة ليست الآن ولا هنا.!

ما أجمل أن يأخذنا جمال الطبيعة من هنا؛ حيث التنافس على لا شيء.!

وستظل عبادة التفكر، والخلوة مع الله طوق نجاة[1].

***

(1) إيقاظ: كان من أفضل ما رأيت ببعض الممالك العربية؛ تلك الصفوف المتراصة في فضاء الصحراء الشاسعة، التي لا تخطئُها العين على طول الطريق الممتد لمئات الكليومترات، حين يؤذن للصلاة، فيبدأ الفرد والفردان الصلاة في خلاء تام، ثم ينضم غيرهم، حتى تصير جماعة كبيرة، وربما تصلى وحدك والنجوم.!

القطرة الرابعة والثلاثون:

ظلوم جهول

من عجيب أمر الإنسان أنه إذا بهره شيء، وملك عليه لُبَّه، كلوحة بديعة، أو بناء شامخ، أو كتاب متقن، أو بيت مرتب، أو شركة ناجحة، أو اختراع عظيم، أن ينسب كل ذلك لمن قام به دون أن ينساه طرفة عين، قائلًا: ما أبدع من فعل هذا!، وما أعظمها من عقلية عبقرية. بل ربما سُمِّيت هذه الأمور جميعًا باسم من قام بها، ولا تكاد تُذكر إلا مقرونة باسم مبدعها وفاعلها.

هذه قاعدة لا تتخلف.!

في حين يماري هذا الإنسان في مبدع الكون وخالق الإنسان، بإبداع يفوق كل لوحة رسمت وكل اختراع مهما عَظُم وكل مؤلف مهما أُتقن، فلا ينسِب ذلك إلا إلى قوى الطبيعة، أو إن نسبه لمبدعه فإنه لا يكاد يذكر الخالق إلا قليلًا.

وهذا من ماصدقات ظلمه وجهله الوارد في قول الخبير بخلقه بصيغة المبالغة «إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا »[1].!

(1) الأحزاب: 72

القطرة الخامسة والثلاثون:

وجعلنا من الماء كل شيء حي

- إن أهم آراء طاليس هو قوله: إن العالم يتألف من الماء، وقد تبين في عصرنا هذا: أن الهيدروجين الذي هو العنصر المولد للماء، هو العنصر الكيميائي الذي يمكن تخليق جميع العناصر الأخرى منه[1]
- من المصريين أخذ هوميروس وطاليس فكرة أن الماء مبدأ وأصلٌ لكل الأشياء[2]
- في قصة مصرية قديمة: في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول، حيث كان آتون وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء[3]
- يقول الشهرستاني: وكان طاليس الملطي إنما تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية[4]

(1) حكمة الغرب/ برتراند راسل
(2) بلوتارك/ نقلاً عن الطيب بوعزة
(3) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم
(4) الملل والنحل، الشهرستاني



- في سفر التكوين: في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت خاوية خالية وعلى وجه القمر ظلام، وروح الله يرفرف على سطح الماء[1]
- قال تعالى:(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[2].

صدق الله وصدق رسوله.

***

(1) العهد القديم، سفر التكوين

(2) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية: **30**

القطرة السادسة والثلاثون:

درجات ودركات

العزوف عن الشعائر لا يعنى الإلحاد، وعدم الاهتداء للإله الحق لا يعني الإلحاد. أوروبا مسيحية غير ملحدة بالمعنى الدقيق للكلمة. والفرد الأوروبي يستقي تصوراته عن الإنسان والكون والعالم من المفاهيم المسيحية، وإن ادعى الثورة عليها؛ حتى إن (ريتشارد دوكنز)[١] صرح أخيرًا بأنه مسيحي علماني[٢].

لو وجد ملحد صادق مع نفسه في الإلحاد التام فإن استمراره في الحياة مشقة كبيرة ونكد عظيم لا يحتمل؛ لذلك يلتف حول مشاعر الضيق من الحياة فينغمس في الشهوات التى هي بمثابة الوقود للاستمرار في النكد والغي.!

وهذه الشهوات لا تدرك إلا من خلال الروح ولا تتم لذتها إلا بالوجدان؛ لكن عملها في الروح كعمل السرطان الذي يهاجم خلايا المناعة حين يتخفى في صورة مزيفة.

---

(1) أشهر ملحدي العالم المعاصر، بريطاني، عالم في الأحياء من تلامذة الملحد التائب (أنتوني فلو)!

(2) نشر الخبر بعدد من وسائل الإعلام.

وحياة الإنسان لا تتم إلا بروح محلقة في ملكوت الله حيث الرقي، وإلا كان في ملكوت الشيطان حيث التسفل.!

وبينهما درجات أو دركات.

***

القطرة السابعة والثلاثون:

من ظنون العلوم.. إلى يقين الشهود

- هل يمكن أن يتمنى الإنسان في الجنة أن يرزقه الله علم فلان من أهل الدنيا؟!
- إن ما يحصل لأقل أهل الجنة منزلة يساوي علوم أهل الأرض جميعًا، فإن العبد بمجرد كشف الغطاء عنه بالموت، وما يحدث بعده حتى دخول الجنة يعلم حقائق مذهلة يقف على عتباتها أهل المعرفة والاجتهاد من أهل الدنيا، وعلمهم بها لا يتعدى الظنون أو مماسة الحقائق لا التلبس بها.!

لقد تحولت جميع المعارف من (علم يقين) إلى (عين يقين).

وهل يسأل عن علم بعد الخروج من ظنون العلوم إلى يقين الشهود؟!

نعم يتفاوت أهل الجنة أنفسهم في العلم، لكن بالنسبة لعلوم الآخرة، لا الدنيا.

فعلم أصحاب الدرجات العليا بالله وأنواره وآثاره ورحماته ونفحاته وصلاته التي لا تنقطع، لا تقارن بعلوم من دونهم في درجات النعيم الذي يقاس في الآخرة بمدى العلم بالله، إذ كلما كان العلم بالله أكمل كان النعيم أتم، وأدناه لأهل تلك الدرجات: رؤية الوجه الكريم مرة، أو المرة بعد المرة، وأعلاه: عدم الانقطاع البتة عن الوجه الأنور والذات الأكمل.. تعالى وتقدس.!

***

القطرة الثامنة والثلاثون:

الموت.. بداية لحياة

ليس الموت عدمًا محضًا كما يظن الناس، بل مرحلة وسطى: بين حياة الروح المختلطة بالطين، وحياة الروح المتحررة من قيود الأرض.

فما نسميه (موتًا) إنما هو بالنسبة لما عهدناه من معنى الحياة.!

فالموت حياة أخرى بقوانين لا نعرفها ولا ندرك كامل حقائقها، إلا إذا كشف الغطاء وتحولت معارفنا من (علم اليقين) إلى (عين اليقين).!

***

القطرة التاسعة والثلاثون:

عيون القلوب

- قال باكيًا: والله إني لأنظر إلى أثر معصيتي فأراه بأم عيني، كلما نظرت في المرآة وجدت ذلك في وجهي.!

= لعلك تتوهم. أو لعله أثر نفسي انطبع في عقلك، فرأيته على صفحات وجهك، وهذا يحدث؛ فالحزين يشعر أن الحزن يخيم على الكون، والمكتئب يحسب الناس كلهم كذلك، بينما الحياة ماضية لا تعبأ. ربما كان هذا من ذاك.!

- كلا. بل والله أراه، سوادًا وقبحًا في وجهي وملامحى أو بياضًا فيه وحلاوة، بحسب حالي من القرب والبعد.!

= !!

- بل أراه في وجوه الناس وأشعر به، رغم حالتي البائسة مع الله.!

= إن كان كما تقول؛ فاعلم أن هذا من نعم الله وألطافه بك ليصلك منه معنى معين.

- ما هو؟!

= أنك ما زلت بخير، وأنك رغم تقصيرك لم يسلبك بعض ما أعطاك، وقد ورد في الخبر: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله)، فهذا نور قذفه الله في قلبك ونعمة يمن بها عليك، لكنه سلاح ذو حدين.!

- كيف؟!

= إن مراوحتك بين الطاعة والمعصية مع عدم قطع الإمداد الإلهي غير مضمون، فربما قطع عنك الإمداد وانقلب حالك، فيكون ما أكرمت به حجة مضاعفة عليك بحيث تحاسب عليها حسابًا مضاعفًا بحسب علمك المضاعف الذي اجتمع فيه: الخبر والحس. فاتق الله حيثما كنت. وربما كان ما هو أخطر.!

- وهل من خطر أكبر؟!

= نعم، ربما كانت هذه الأمور من قبيل ما يحدثه الله لعبده قبل الخذلان التام، والتخلي عنه بحيث يوكله إلى نفسه، وفي الحديث (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين) ومعناه نزع التوفيق والمعونة الإلهية عنه. ومن كان هذا حاله تخبط في الضلالة وساءت أحواله الدينية والدنيوية. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا ﴾[1]، وربنا سبحانه

(1) يونس: 44

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾[1] فربما كان هذا من باب توالى الحجج والتأكيد على أنك تسير في غير ما أراد حتى إذا ما أصررت على ذنوبك يسر لك طريقها كما قال ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾[2]؛ ولأن هذا لا يكون إلا بعد تعدد العلامات وتواليها عليه مع إعراضه عنها، بل يوجد ما هو أخطر.!

- !!

= اعلم أنك إن كنت ترى ذلك في وجهك وأنت بحالتك تلك؛ فما بالك بأهل الله ممن لا يغيب الله عن قلوبهم طرفة عين، أو من هم دونهم ممن يفضلك في المرتبة.!

- ماذا تريد أن تقول؟ أسأل الله ألا يكون ما فهمت من كلامك، وإلا كانت فضيحة.!

= بل ما فهمت، هم يرونك ويعلمون حالك لكنهم أهل شفقة ورحمة بالخلق فلا يكشفون ما ستره الله. فاستح من الله واستح من عباده تفلح. واعلم أن خزائن رحمة الله لا تنفد، وألطافه بعباده لا حدود لها، لو تفتحت لها عيون قلوبنا.

***

(1) الأنعام: 12

(2) الليل: 10

القطرة الأربعون:

إسقاط التدبير

وليس كل ما تحرص عليه من سبل سعادتك، بل ربما كان عين خذلانك عند الله، وانصراف الناس عنك.

فما أقل من يسمع بأذن القلب قول الصادق المصدوق ﷺ (مَا ذئبان جَائِعَانِ أُرسِلا في غَنَمٍ بأفسَدَ لها مِنْ حِرصِ المرء على المال والشَّرَف لدينِهِ)[1].!

فسلم أمرك لمولاك؛ ترح بالك وتنعم بحياتك.

***

(1) أخرجه الترمذي، رقم (2377) في الزهد، باب حرص المرء على المال والشرف لدينه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

القطرة الواحدة والأربعون:

في يدي وأبحث عنه

يبحثون عن السعادة وهي بين أيديهم وعلى أرفف مكاتبهم.!

كالعيس في البيداء يقتلها الظما... والماء فوق ظهورها محمول

(مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ)[1]، (فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ)[2]، (وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ)[3].

لما سجن ابن تيمية وزادت صلته بالقرآن وقل جداله ودخوله في مضايق الفلسفة والكلام، ندم على ضياع عمره في غير تدبر القرآن، قال: (وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير القرآن).

هذا كتاب الله أعذب منهل ... أنعم به من مورد لمن استقى

طوبى لمن حفظ الكتاب بصدره ... فبدا وضيئًا كالنجوم تألقا

وتلاه في جنح الدجى متدبرًا ... والدمع من بين الجفون ترقرقا

(1) طه: 2

(2) طه: 123

(3) الإسراء: 82

قال ابن حجر: (بمقدار طهارة قلب المؤمن يكون أثر القرآن عليه)، وقال ابن مسعود: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم).

***

القطرة الثانية والأربعون

السعادة.. معنى

وهل السعادة إلا معنى من المعاني؟!

يزيد ما بقي في عالم المثال أو ما بقي في قلب صاحبه..

فإن دخل عالم الحس تلاشى، أو ضَمُر، أو صار أثرًا بعد عين.

لذلك كان مقتضى الحكمة أنه- سبحانه وتقدس- لا يرى في الدنيا؛ لتكتمل به معاني الأنس، وتزيد لقربه الأشواق.

***

القطرة الثالثة والأربعون:

طرق الولاية

الاعتقاد بأن الولاية لا تكون إلا في مشايخ الطرق، أو من سلك مسلكهم إنما هو تحجير لرحمة الله، وكم من قبر يزار وصاحبه في النار.!

والاعتقاد بأن الولاية لا تتأتى إلا بكثرة الذكر دون سلامة القلب والتواضع واتهام النفس، أو دون الجهاد ونصرة المظلومين إنما هو خلل فى الموازين.!

والاعتقاد بأن السلوك الشكلي من زيارة أضرحة، أو مسك سبحة، أو لزوم ذاكر يُحسب على خير، كافٍ مُغنٍ عن غيره هو خلل أشد.!

والاعتقاد بأننا نملك خزائن رحمة الله، استدراج وغرور.

والنظر بعين الاستخفاف لمن لم يصل إلى الله عن طريقي، هو من قبيل الشهوة الخفية.

إن الإخلاص، وسلامة القلب، وصدق التوجه، ومحبة الخير وأهله، والعمل على إصلاح النفس والمجتمع، واقتناص الأوقات وصرفها إلى ما يحب الله تعالى معدود من طرق الولاية، وإن لم تكن بما ألفتَه أو رأيتَه أو اعتدتَ عليه.

القطرة الرابعة والأربعون:

فطرة اللّه

لن يفهم نواميس الكون ولا تصرفات البشر وسبر أغوارهم ولن يملك قلوبهم، من لم يجعل من فطرته ومشاعره الإنسانية دليلًا؛ (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[1].

أجسادنا رداء نتركه في النوم ونخلعه بالموت وتظل حقيقتنا قائمة في أرواحنا؛ فابحث عن الروح، واستعن بالتأمل، واستمد من الله؛ تهتد لفهم ما خفي، وتصل للغائب من الشاهد.

***

(1) الروم: 30

القطرة الخامسة والأربعون:

إجابة واحدة لكل الأسئلة

العلم كلمتان، والعلماء قسمان..

أما العلم فسؤال وجواب،

وأما العلماء فمنهم من اعتنى بالظاهر،وهم الفقهاء،

ومنهم من اعتنى بالباطن، وهم المتصوفة.

فعلوم أهل الظاهر: إنما هى أسئلة كثيرة، وللسؤال الواحد إجابات شتى.

أما علوم أهل الباطن من المتصوفة فهي إجابة واحدة لكل الأسئلة؛ أصلح ما بينك وبين الله.

***

القطرة السادسة والأربعون:

استرواح العابدين

(تنزهت أنا وجماعة من إخواني من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا، فجلنا ساعة، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان دونه يُتَمَنَّى، فتمددنا في رياض أريضة، وأرض عريضة، للبصر فيها مُنْفَسَح، وللنفس لديها مُنْسَرَح.

بين جداول تطَّرد كأباريق اللُّجَيْن، وأطيار تغرد بألحان تزري بما أبدع معبد والغريض- مغنيان-، وثمار مُهَدَّلة قد ذُلِّلَت للأيدي ودنت للمتناول، وظلال مظلة.

تلاحظنا الشمس من بينها فتتصور بين أيدينا كرقاع الشطرنج والثياب المدبجة، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة، وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خرير يقوم ويهدأ، ونواوير مؤنقة مختلفة الألوان، تصفقها الرياح الطيبة النسيم، وهواء سَجْسَج، وأخلاق جلاس تفوق كل هذا، في يوم ربيعي ذي شمس ظليلة، تارة يغطيها الغيم الرقيق والمُزْن اللطيف، وتارة تتجلى فهي كالعذراء

الخَفِرَة الخَجِلَة تتراءى لعاشقها من بين الأستار ثم تغيب فيها حَذَرَ عينٍ مراقبةٍ.

وكان بعضنا مطرقًا كأنه يحادث الثرى، وذلك لسر كان له)[1].

***

(1) طوق الحمامة، ابن حزم الأندلسي

القطرة السابعة والأربعون:

باب الحب.. ولغته

الدخول على الله من باب الحب يفتح أبواب الأمل أمام العصاة، ويفتح المغاليق أمام الطائعين.

ولغة الحب معان تسبح في الكون فإذا التصقت بالنفس تغير حالها ونطق الفم بما يعقله الناس وبما لايعقلونه، وربما بما لا يعقله المتكلم نفسه؛ لأنه لا يأخذ الكلمات من قاموس الألفاظ التى حفظها عقله، بل من قاموس لم يدوَّن بعد.

***

القطرة الثامنة والأربعون:

الحُجُب.. أولها وأعظمها

طلب الحق من الحواس وحدها أو الوقوف على أحكامها والظن أن لا شيء وراءها من أعظم الحجب.

فحقائق الوجود لا تقف على ما نستطيع دركه بالحواس (المشمومات والمسموعات والمبصرات ونحوها)؛ إذ منها ما يدرك بالعقل، ومنها ما يدرك بالقلب والوجدان، ومنها ما يكون بالالهام، ونحو هذا.

فإيقاف النفس عند حدود الحواس يقف بصاحبها على قليل من حقائق الوجود، فيصدق فيه قول القائل: علمت شيئًا وغابت عنك أشياء.!

والإعجاب بالنفس والرضا عنها والثقة المطلقة بأحكامها فتنة وتأله.

ولأن الإعجاب بالنفس أول طرق الحجب فقد جمع بينهما العبد الصالح في قوله: (ولا تجعلني مفتونًا بنفسي، محجوبًا بحسي).

***

القطرة التاسعة والأربعون:

ما التوفيق؟!

(التوفيق): التئام عدد من التفاصيل والأحداث في لحظة محددة، مما لا يتفق اجتماعه في غالب الاعتياد؛ ليقع المطلوب على الصورة التى تواردت عليها إرادة الله وإرادة بعض عباده، ويساعد على هذا مادة الكلمة نفسها.

وعكسه (الخذلان) وهو عدم حصول المطلوب، ولا يلزم من وجود الخذلان وجود الشر أو انتفاء الحكمة لا سيما في المطالب الدنيوية.

وعدم حصول المطلوب قد يكون إحدى المقدمات والأدوات، أو ممهد لتفاصيل وأحداث توفيق آخر لم يحن وقته بعد، أو يكون عين الخذلان سببًا لتوفيق آخر إذا ائتلف مع غيره من أسباب.

والعبد (الرباني) يشهد القيوم سبحانه في كل جزئية وحدث مهما صغر، ويظل متعلقًا به سبحانه لا بغيره؛ لأنه القائم على شؤون خلقه؛ فيورثه ذاك الشهود: اليقين بانقضاء مطلوبه قبل حصوله؛ لأنه شاهد بعين البصيرة ما لا يأتلف في غالب الاعتياد، وربما أخبر بما سيقع قبل أن يقع.

وأما (الغافل) فإنه يجعل منتهى نظره في الأسباب بداية ونهاية؛ فيحجب بها، وربما كانت أسباب التوفيق هي عينها أسباب الغفلة، فسبحان من أعز درك صفاته وأفعاله عن غير طالبيه.!

وقرين (التوفيق) في عالم الأفعال الاختيارية (جريان السنن/ التسخير) في عالم الأفعال الاضطرارية، كحركة الأعصاب والرؤية البصرية؛ فإنها لا تتم للمخلوق إلا بائتلاف أمور، في لحظة واحدة.

***

القطرة الخمسون:

أبو الكل!

بعد حوار ماتع، صمت ثم أطرق، ثم قال: (ربنا أبو الكل)

هكذا لخص لي تجاربه مع المشايخ وطرائقهم وتلامذتهم، وما يدعيه الكل من مقامات ودرجات.!

وأهل الدعاوى أكثر من أهل الحقائق، بل هم من صرف الناس عن أهل الحقائق، كلابس ثوبي زور.!

***

القطرة الواحدة والخمسون:

في مطالعة كتب التزكية

(الأحوال والمقامات) أمور نفسية روحية، والتنظير لها يجعل الإنسان يقترب منها، لكنها تظل تجارب فردية لا توصف تمامًا.!

(السيرة العملية) لمن كتب فى أحوال النفس وتقلباتها- وهي (المقامات) كما يعبرون- سواء ممن انتسب للتصوف أو غيرهم تقول بمشروعية الاستعانة بكتب القوم كوسيلة لتربية النفس والترقي معها في مدارج الصلاح.

وهذه الكتب في غالبها مبني على خبرة المربين الباذلين أوقاتهم في هذا الأمر، بعد تضلعهم من علوم الشريعة؛ وهو أمر سلم لهم.

لكنها لا تغني عن شيخ مربٍّ خبير.

***

القطرة الثانية والخمسون:

بعد البكاء عمل لا حزن

بعد الحزن عمل لا بكاء، وكل حزن أو بكاء لا يتبعه عمل سيزداد به القلب كمدًا وحزنًا؛ ومن ثم فإنه لا يعول عليه.

في كتابه (عيوب النفس) كتب (أبو عبد الرحمن السلمي)، فقال:

(ومن عيوبها: أنها إذا بكت تفرجت به ثم استروحت، ومداواتها: ملازمة الكمد حتى لا يفرغ إلى الاسترواح، وهو أن يبكي في الحزن، ولا يبكي من الحزن؛ فإن من بكى من الحزن يستروح من بكائه، ومن بكا في الحزن يزيده البكاء كمدًا وحزنًا) أي حتى يعمل ما ينبغي.

***

القطرة الثالثة والخمسون:

بين القصور البشرى.. والإعجاز القرآني

إن غالب ما يخطر على القلوب من خواطر وسوانح لا سبيل لوصفها بالكلمات، ومهما قال المحب في وصف حبيبته سيظل يدور حول ما يعتمل في نفسه، دون أن يمسك تمامًا بتلابيب خواطره وما يحس به؛ لذا سيحاول مرة بعد مرة أن يصف حبه، وسيحاول أن يعبر عن مشاعره بكلمات، يراها في كل مرة غير وافية بمقصوده. وهذا من أسرار نبوغ أهل الأدب حين يعبرون عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة تعجبك كلما قرأتها، وتدهش كيف استطاع هذا الألمعي أن يفعلها، وهو من علامات القصور البشري، كما أن عكسه من أسرار الإعجاز القرآني لو تدري.!

فكيف يطمع من هذا حاله في الإحاطة بمن لا يصفه الواصفون؟!

إن من رام ذلك على سبيل التكلف قد فعل كرجل أعجبته بعض الألوان الزاهية، وهو من شدة إعجابه بها أراد ان يتذوقها بلسانه، فهل يفيده ذلك شيئًا!



فلا تطلب شيئًا بغير قانونه، واعلم أن الحواس لا تدرك إلا ما كان جسمًا أو قائمًا بجسم؛ لذا لا سبيل لإدراك الله بالحواس، ولا سبيل إلى وصفه بالكلمات، وتأدب بأدب «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا».. تعالى وتقدس.

***

القطرة الرابعة والخمسون:

إدراك الحق نعمة، واتباعه نعمة أخرى

من نعم الله على عبد من عباده: أن يستطيع التمييز بين الحق والباطل (اللهم أرنا الحق حقًّا)

ومن نعمه تعالى: أن تتبع هذا الحق وتكون من جنده (وارزقنا اتباعه)

فإذا أُنعم عليك بهما ربما تصبح فقيهًا فترتقى في التمييز؛ وليس الفقه سوى التفريق بين خير الخيرين وشر الشرين !

***

القطرة الخامسة والخمسون:

في أن الحس مقدم على خبر الواحد.؟

تعلمنا أن مصادر المعرفة إما عقل أو خبر أو حس.

وتعلمنا أن أقواها جميعًا: الحس؛ لذا لا ينقضي عجبي من أناس ينكرون تجاربهم المحسوسة بمعاشرتهم أهل الخير الذين لم يرو منهم إلا الخير.

ثم يأتيهم خبر من إعلام كاذب، فيقدمون ما سمعوه على ما رأوه وتيقنوه، وربما استحلوا دماءهم وفرحوا في البلاء الواقع عليهم.!

***

القطرة السادسة والخمسون:

في عواقب الغفلة

تأمل نتيجة الكفر في قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1].

وتأمل امتنان الله تعالى على أهل مكة في قوله: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[2].

إن وفرة الطعام، وتحقق الأمن اللذان بهما قوام المجتمعات البشرية إشارة قرآنية، بها نرى آثار الرحمة الإلهية.

ليس الأمر أمر كثرة كمية أو عددية بل أمر بركة تجعل القليل كثيرًا.

وقد يكون عدمها إبتلاء لرفع الدرجات. يقول تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3].!

***

(1) النحل: 112

(2) قريش: 4

(3) الأعراف: 96

القطرة السابعة والخمسون:

بشرى

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾[1].

فلماذا يخرج الله أضغانهم؟!

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

***

(1) محمد: 29

(2) الأنفال: 37

القطرة الثامنة والخمسون:

متى يشرق النور في القلب، وكيف؟!

((وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة، بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية؛ فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة، وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام، والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة))[1]

***

(1) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، الإحياء

القطرة التاسعة والخمسون:

ما التزكية؟!

التزكية: هي محاولة الوصول إلى مقام (الإحسان) الذي يصل فيه العبد لأن (يعبد الله كأنه يراه..)، وهي عمل لا جدل، وهي طريق لمعرفة لن تنال إلا من طريقها.

ليست التزكية تغييبًا للعقل ولا كسلًا عن العمل ولا هروبًا من الواقع، ولا قولًا بالجبرية ولا عجزًا عن مسايرة الحياة، بل هي عين العقل والعلم والعمل.

ومن يقرأ سير علماء التزكية وأعلامهم وساداتهم مثل (الحارث بن أسد) سيعرف أنه من خط كتابه الضخم (العقل وفهم القرآن)، ومن يقرأ مؤلفات سيدي (الشعراني) أو (العز بن عبد السلام) و (السيوطي) و (الآلوسي) المفسر، ونحوهم؛ يعلم أن سادتنا أهل العلم هؤلاء كانوا جبالًا في علوم المعقول خاصة، وأن عقولهم ما كملت إلا لأنها اتحدت بذاتها فعرفتها، ثم خطت طريقًا من خلالها لمعرفة أسرار الوجود؛ لترجع واقفة على مشارف العبودية، ويقف العقل على عتباتها ليتعلم أو ليسلم.!

في كتابه (العمل الديني وتجديد العقل) بحث الدكتور (طه عبد الرحمن) الصلة بين عمل الصالحات وكمال العقل، وكيف يمد العمل التزكوي الإنسان بأفق عقلي إدراكي لا يتوفر بدونه.

وفي كتب القوم آثار في كون رشاد العقل وكماله بالطاعات يكون، وأن من يعصي الله تعالى يؤخذ منه عقل لا يرجع إليه أبدًا.

***

القطرة الستون:

ازهد في الدنيا.. يحبك الله

كل ما في الدنيا ينادي ألا نتمسك بأهدابها، وأن نتركها؛ لترحل عنا.. بهدوء.

قوة الرجل تضمحل، وجمال المرأة يزوى، والجسد يخور، والعظام تتآكل، خلقنا لنموت، ووجدنا لنفنى ثم نصحو للخلود؛ كأزهار الربيع تذبل، وكاعتدال الخريف لا يلبث أن ينتهي.

لا كمال فيها ولاهناء؛ أما الأحبة فنغادرهم، ولحظات الحنين والشوق إلى ما لا يدرك تتملكنا، وأوقات النعيم مشوبة بالتنغيص.!

شأنها الانقطاع، وصفتها التقلب، تتزين ليأتيها أمر الله؛ كأن الله يعطي إشارات لأولي الألباب أن: استعدوا للرحيل؛ فقد آن و(تزودوا؛ فإن خير الزاد التقوى)

***

القطرة الواحدة والستون:

كيف يشرق نور الذات؟!

ارفع الحجب ترى الحقائق ويشرق نورك.!

فحجاب الروح البدن، وحجاب القلب التعلق، وحجاب النفس شهواتها، وحجاب العقل الشبهات وإرادة التأله، وحجاب الإرادة الشتات، وحجاب العبودية رؤية الذات.!

***

القطرة الثانية والستون:

لا تنكر ما لا تعرف، ولا ترفض ما لا تفهم

علوم الدنيا كلها ليست سوى قطرة في بحر زخار لا قعر له ولا ساحل، تلاطمت أمواجه فتطايرت علينا منها قطرات من العلوم الإلهية.

ومن أراد العجب العجاب في تعليم الله لبعض خلقه بلا كسب ولا أسباب- من غير الأنبياء صفوة الخلق عليهم السلام- فلينظر لسيدنا الخضر عليه السلام الذي قال الله تعالى عنه: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا).

ولينظر لعلمين جليلين من سادات أهل الله أهل العرفان كلاهما علم علماء الشريعة في عصره، رغم وصف (الأمية!) بل كان كل منهم يتكلم- وهو الذي لم يقرأ كتابًا ولا أمسك قلمًا قط- بما تحار فيه أفئدة أهل العلم وعقولهم مما لا يستطيعون إنكاره ولا دفعه، فضلًا عن معارضته مع تلقيهم له بالقبول والرضا وتعجبهم من فضل الله؛ الذي إذا وهب فلا تسأل عن السبب.!

أولهما مصري: هو سيدي (علي الخواص)- قدس الله سره- الذي كان أستاذًا لسيدي العلم الجامع بين معارف الشريعة والحقيقة

سيدي (عبد الوهاب الشعراني) الذي حشى كتبه من معارفه، وأفرد مؤلفًا في علومه سماه (درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص) فيه من المعارف ما الله به عليم.!

ثانيهما مغربي: هو سيدي (عبد العزيز الدباغ)- قدس سره- الذي كان أستاذًا لسيدي (محمد بن المبارك المالكي) الذي جمع ما سمعه منه في خمسة أشهر فقط فجاءت في مجلد كبير (خمسة عشر كراسًا) سماه: (الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز)، يقول في مقدمته: (ولو أني قيدت ما سمعت منه في السنين الأربع الماضية؛ لكان أزيد من مائتي كراس وآفة العلم عدم التقييد).

وقال فيه (ص67):

(ومن كراماته رضي الله عنه: أني أسأله عن قول العلماء في المسألة فيعرفها ويعرف المسألة التي فيها خلاف، والتي فيها وفاق، ويعرف أقوال علماء الظاهر وعلماء الباطن في كل مسألة مسألة).!

ثم قال (ص68، 69 باختصار)..

(ولنختم هذا الفصل بكرامة عظيمة، وذلك أني لما عرفته رضي الله عنه في أول الأمر ورأيت سعة عرفانه وفيضان إيمانه؛ جعلت أختبره فأسأله عن الحديث الصحيح من الباطل.. فيقول في الصحيح صحيح وفي المكذوب مكذوب. فوافق كلامه رضي الله عنه كلام العلماء.

ومن عجيب أمره وغريب شأنه- رضي الله عنه- أني إذا خضت معه في هذا الباب يميز الحديث الذي أخرجه البخاري وليس في مسلم. فلما طالت خبرتي له وثبت عندي معرفته بالحديث من غيره سألته عن السبب الذي يعرف به ذلك؛ فقال مرة: كلام النبي ﷺ لا يخفى. إن من تكلم بكلام النبي خرج النور مع كلامه، ومن تكلم بغير كلام النبي خرج الكلام بغير نور)

فأين يذهب المنكرون لفضل الله وسعة رحمته وإكرامه لبعض خلقه، وقد قيل: إن الوقوع أقوى أدلة الجواز، ولا أصدق من الواقع إذا وقع!

إن لم تكن منهم فلا تنكر عليهم؛ فالإنكار باب من الخذلان والحرمان عظيم. فسلم تسلم، ولا تسليم إلا بتواضع واعتراف بالجهل، ورغبة في المعرفة، وملازمة الربانيين من أهل العلم، وصدق التوجه. فرضي الله عمن صدق فيهم وعده حين قال: (واتقوا الله ويعلمكم الله).

***

القطرة الثالثة والستون:

علق قلبك بالله

بعض طلبة العلم لأنهم لم يروا عالمًا حقيقيًّا في حياتهم ولا داعية عليه القيمة؛ تجده يتعلق بأي شخص يشتهر أو يلتف حوله الناس، ثم لا يرى الدنيا إلا من خلاله، ثم يوالي ويعادي عليه.!

رفقًا بأنفسكم. فما هكذا تورد الإبل.!

أخي: أحبب من شئت لكن اعلم أن: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِى عِلۡمٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وأن من تحبه ربما لم يكتب له القبول عند غيرك.

عَلِّق قلبك بالله، واضبط بوصلتك على الحق، ولا تتعلق بأذيال الرجال تُفْلح.

***

(1) يوسف: 76

القطرة الرابعة والستون:

العلوم حلقات متصلة

من أتقن علم التوحيد الذي هو أصل الدين؛ عرف الله حق المعرفة وانتقل من سجن التقليد إلى فضاء المعرفة الإرادية الاختيارية، فيعرف الوجود على حقيقته؛ فيحصل له علم الظاهر والباطن؛ لذا لا نعجب من أن يوصف أمثال الإمام (أبي عبد الله السنوسي) صاحب المتون والشروح المتنوعة المتدرجة في علم أصول الدين؛ بأنه «ممن جمع بين الشريعة والحقيقة أو علمي الظاهر والباطن»، كما لا نعجب من صنيع العلامة الأمير حين يقوم بالتحشية على شرح (عبد السلام) على جوهرة (اللقاني) فيمزج مزجًا تامًّا عجيبًا بين مواقف علم الكلام ونظرات الشيخ الأكبر (ابن عربي الحاتمي) ونفحات (ابن الفارض) رضي الله عنهما.

وفضل الله أوسع.

والجمع بين ما يظن فيه التباين هو من فتوح الله على بعض خلقه؛ إذ العلوم كلها حلقات متصلة بخيوط، كلها من الله وإليه، وكلها يستدل بها وتدل عليه، لا يراها إلا ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[1].

(1) طه: 109

القطرة الخامسة والستون:

معرفة الذات أول الطريق

= ها قد بذلت وسعي حتى تعبت.. فماذا بقي؟!

== الآن، بدأت تفهم.

= تقول: بدأت، وأنا من قرأ وتعلم وناظر، وتأمل، ونظر وفكر.!

== إن قلت (أنا) فما زلت لا تفهم. تقيم حول ذاتك. ولن تجد سواها. ولو كانت كافية ما بحثت ولا نظرت، فالحق خارجها.

= هل كان ما أفعل هباء؟ كل التعب والإرهاق! وساعات الحيرة والدهشة! واليأس والشك، ثم اليقين والسكينة.. هل كان زيفًا؟

== بل حقيقة قادت إلى حقيقة، وليس ما وصلت له كلها.

= فماذا عساي.!

== أيها العقل: ستقود صاحبك، لكنك ستقف به على شاطئ الحقيقة دون سبر أغوارها. ستقف على عتبات الباب وناصية الحلم لا تقوى على الدخول.!



= أيها القلب: أنت تطلب الإذعان بلا دليل. وليس من شيم العقلاء فعله.

== هل تعي ما تقول؟ تطلب مني ألا أكون نفسي، وتفرض علي ما تفهم أنت من معنى الدليل.! هل تدري ما الفرق بيننا؟ الفرق: أنك تبحث عن دليل، أما أنا فعين الدليل.

= كيف فعلتها!؟

== عرفت نفسي. فقادني شعور لا يوصف ومعان كثيرة إلى حقائق لا يعبر عنها بكلام، بل تتضاءل أمامها الألفاظ، بل إن عبرت عنها نقصت من دلائلها، فغايتها أن تعرفها كما هي في لحظتها الأولى، لا تنقلها حتى ولو على مستوى اللفظ، فضلًا عن الفكر.

= فكيف السبيل؟!

== لا سبيل أمامك إلا أن تعرف أنَّ: كثرة القراءات ومزيد الاطلاع وكل أوقات المطالعة ليس لها من هدف سوى أن تعلم معلومة واحدة.

= ما هي؟!

== أنك لا تعرف شيئًا. وكلما قرأت ونظرت وتأملت ينبغي أن تزيد تلك الحقيقة في نفسك، وبقدر امتلائك بها بقدر ما تقترب. لا سبيل لك إلا بالسجود على عتبات العلم الإلهي؛ علك يومًا تعي شيئًا.!

***

القطرة السادسة والستون:

دواءك فيك

دواءك فيك وما تشعر وداءك منك وما تُبصر
وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المُضمَر
فلا حاجة لك في خارج يُخَبَّر عنك بما سطروا

يقول سيدي أحمد زروق:

(إياك وطلب الدليل من خارج؛ فتفتقر إلى المعارج، واطلب الحق من ذاتك لذاتك، تجد الحق أقرب إليك من ذاتك)[1]

***

(1) اللوائح الفاسية شرح المباحث الأصلية، سيدي أحمد زروق، ص 52

القطرة السابعة والستون:

بحق السائلين

= ما معنى قول النبي ﷺ (أسألك بحق السائلين)؟!

== هذا تعليم من النبي للتوسل باللاجئين إلى الله حال اللجوء؛ لتعليم اعتقاد قصور الحال عن كمال التوجه، فيسلك السائل نفسه ضمنهم، فيسأل الله بمن كمل حاله وتم توجهه.

ومن كان هذا حاله فإنه أولى بالإجابة من غيره؛ لاجتماع معنيين فيه لم يجتمعا في غيره:

المعنى الأول: كونه سائلًا، والله وعد بإجابة السائل حين قال: (ادعوني استجب لكم)، وهو في هذا الحال كغيره.

الثاني: تحقق معنى الافتقار؛ حتى ما عاد يرى نفسه أهلًا للسؤال لقصور حاله، ومن كان هذا حاله كان أقرب لأن يجاب؛ لتحقق مقصد الدعاء فيه، وهو اللجوء إلى الرب وطرح النفس بين يديه سبحانه، مع عدم رؤية النفس أهلًا للسؤال ولا للإجابة.

والله أعلم

***

القطرة الثامنة والستون:

حياتنا المتجددة بالمدد الإلهي

حياتنا: كشعاع النور الذي كنا نظن أنه خط واحد مستقيم حتى أظهرت الفيزياء أنه عبارة عن نقاط متتالية (فوتونات صغيرة)

فليست حياتنا حياة واحدة متصلة تنتهي بالموت، بل في كل لحظة حياة، تتجدد بالمدد الإلهي، تستمد قوتها من (القيوم) القائم على شؤون خلقه، رحمة منه وتفضلًا.

نحن في الحقيقة أموات في صورة أحياء، أو أموات نسعى للحياة. (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) أي: الحياة الحقيقية.

ولن نحصل ذلك إلَّا بالاتصال بواهب الحياة؛ فنتحقق ببعض معاني الحياة في الدنيا، فنخرج من زيف ما نعتقد أنه حياة وما هو كذلك؛ لنقف على مشارف الحقيقة الضائعة، وذلك لن يكون إلا بإحياء الروح.

ومن لا يعي هذه الحقيقة يسأل ببلاهة: لماذا نموت؟



كأن الحياة هي الأصل.! وما دري أن الموت هو الأصل؛ فنحن من العدم أتينا، وفيه يعيش أغلب الخلق، سوى من أراد الله حياة قلبه وارتقاء روحه؛ فسينال حياة الدنيا وحياة الآخرة. والخلق في هذا الإدراك متفاوتون بحسب الاستعداد والاستمداد.

لذا فالسؤال الذي ينبغي أن نسأله: لماذا نحن أحياء؟

***

القطرة التاسعة والستون:

أحوال الربانيين

(لما أراد موسى أن يفارق الخضر؛ قال: أوصني..

قال الخضر: لا تطلب العلم لتحدث به، واطلبه لتعمل به.

قال موسى: ادع لي.

قال الخضر: يسر الله عليك طاعته)[1]

***

(1) أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر عن يوسف ابن أسباط، ينظر: روح المعاني: ج16،ص8.. ونقله ملا علي القاري في: الحذر في أمر الخضر، ص94

قطرات منثورة

ليس للأشياء معنى في نفسها، بل ما تفيضه عليها الروح هو ما يخلق المعني[1].

***

توضيح الواضحات يزيدها غموضًا، ومن أساء فيك الظن فلن تكفيه كلمات الدنيا.

***

وجود الله تعالى عين الحق، ورجوع الخلق إليه عين العدل، وحُكْمُه بين عباده عين الرحمة.

***

(1) الأشياء بطبيعتها لا تقول شيئًا، فالكرسي أراد صانعه أن نجلس عليه، لكن قد يرتبط عندك ارتباطًا شرطيًّا بحدث سعيد أو حزين، أو لحظة صدق أو وفاء.. الخ. فكل هذه المعاني لم تأت من الخشب بل من ذاتك. والأشياء لها حقائق جامدة بلا معنى- طولا وعرضًا وعمقًا ولونًا- لكن المعنى هو ما تفيضه النفس عليها، فالوردة مثلا لها لون، لكن ما أثر رؤية هذا اللون على نفسي؟ اللون الأحمر مثلا يختلف أثره في النفس من شخص لآخر، قد يراه البعض دليلا على الدم وعلى الحرب، ويراه آخرون دليلا على الحب. والألم الحاصل لأشواك الوردة نفسه قد تفسره النفس تفسيرات مختلفة، فالشوك مؤلم والأشواك مؤلمة لاشك، لكن معنى الألم النابع من النفس سيختلف: فقد ينظر له على أنه رفعة للدرجات ومحبة من الله، وقد يُنظر له على أنه قلة حظ، وتعثر في كل شيء حتى مع الأزهار. وهكذا.

قيل:

آخر ما يخرج من قلوب العارفين: حب الرئاسة.

❋❋❋

لا ينادي نفسه أو يصفها بنون الجماعة إلا من عظمت عنده نفسه، وما أسر عبد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه أو فلتات لسانه..!!

❋❋❋

لن يستقيم لك الحديث مع الناس عن روعة المحبة إلا إن رأوها تلمع في عينيك، ولا أهمية السماحة قبل تحقق العدالة، ولا عن الطموح قبل أن تضعهم على طريقه.

ولن يقبلوا منك أن تحدثهم عن الجمال إن كانت معاييرهم فيه بشرية؛ فقبح العالم لم يعط لأرواحهم فرصة للتحليق.

❋❋❋

الدنيا كنهر طالوت: لا ينجو منها شارب، إلا من اغترف غرفة بيده.!

❋❋❋

كن مع الناس كأنك غريب أو عابر سبيل، يخلص لك قلبك.

❋❋❋

قليل من المال يكفي، لكن القليل من الحب لا يكفي.

***

العلم قطرة إلهية من بحار الجود والكرم، كَثرها الجهل والتعالم؛ فمن عرف الحق رشف؛ فتعلم الحقائق ولم تصعب عليه الدقائق.

***

أكثر الناس شفافية؛ هم أكثر الناس التصاقًا بحقائق الوجود.

***

تبذل نفسك لأفاضل الناس فيقدرون؛ وتزداد في نظرهم رفعة، وتبذل نفسك لغيرهم؛ فيزيلون الحواجز، وينسون أنفسهم.

***

تنقلت في بلدان وعرفت أصنافًا من البشر؛ فما رأيت أخس من المتنسبين للإسلام والعروبة مع الفقير والضعيف والغريب؛ إلا من رحم ربي.

***



لن نتنفع بمال ولا جاه ولا ولد ولا ترفيه، مالم يكن مصحوبًا بمعنى علوي، وإلا كانت عين الشقاء.

***

ابحث عن المعنى الكامن؛ تفتح لك خزائن الأسرار؛ فإن لم تجده فأنت محروم تستحق الشفقة.

***

في تعاملاتنا مع الآخرين؛ يكون للوضوح والصراحة في ذوق: قيمة عليا.. في زمن النفاق والتلون.

***

كل حقيقة تجريبية أو فلسفية أو اجتماعية فهي من الحق وإلى الحق تقود.. ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[1].

***

تقلب مواقف بعض البشر مع التطرف في كل مرة، دليل على اضطراب الشخصية، أو قلة العقل، أو كليهما.

***

(1) الكهف: 29

لن يفلح شيخٌ ولى وجهه قبل العلمانيين يسترضيهم بانفتاحه، أو الحكام بوسطيته، أو الناس بتيسيره.

❋❋❋

الإلحاد أخس المذاهب، وأهله أضعف الناس عقولًا، لولا رعاته الرسميون حول العالم.

❋❋❋

كل ملحد يهتبل الشهوات فإنما يحاول عبثًا الابقاء على روحه؛ لأن إدراك اللذات بالروح يكون.

❋❋❋

(نصرني الشباب، وخذلني الشيوخ).. ليس مجرد قول مأثور، ولكنها حقيقة كونية، التقطت من عالمي الغيب والشهادة.

❋❋❋

عندما يفقد الإنسان رمزًا تامًّا مكتمل الخصائص يستند إليه ويكون من مصادر الإلهام لديه؛ يقوم عندها بتعويض هذا بالرضا بأي شيء يُرَمِّزه الناس، وربما اخترع رمزًا ليحفظ توازنه النفسي.!

❋❋❋



ضياع معاني الوفاء بين البشر، ومعاملة الأقل باحترام كبير ثم تفقد صداه معاملة بالمثل في أقل الأحوال، مما يصيب قلوب الأصفياء بالحزن، وحق لهم.

***

كثير من المتحمسين والمعجبين بأنفسهم لا يضعون في حسابهم أن من يخالفهم ربما مر بتجاربهم، وأن ما هو فيه إنما هو خلاصة خبرة طويلة لم يصل هو إليها بعد.!

***

نفعل في بعض الأحيان ما نظنه بسيطًا وعاديًّا، لكنه ربما غير حياة البعض، فلا تحقرن من المعروف شيئًا، ورب درهم سبق ألف درهم.

***

يصدقك الناس كلما كنت تلقائيًّا.

***

لا تشاهد التلفاز وقلل من (الفيسبوك)، تصبح حكيمًا.

***

الفرق بين التنمية البشرية والتزكية؛ أن الأول إصلاح للنفس بالنفس، أما الثاني فإصلاح للنفس بالله.

***

اضرت مفاهيم التنمية البشرية بالحقيقة، فصارت هي علو الصوت ونظرات الأعين وحركات الجسد وإظهار الثقة بالنفس، عند كثير من الناس. وكثير من أهل الحياء يملكون حقائق؛ لكنهم يعبرون عنها بطرائقهم هم، فانظر للقول لا للقائل.

***

المعرفة لا تؤدى إلى الإيمان بقدر ما يقود الايمان للمعرفة الحقة، نحن للنقص ومن النقص وفي النقص، ومع ذلك نتأله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[1].

***

كل علاقة انقطعت، لم تكن في الله ابتداء.

وكل ما ليس لله سينقطع لا محالة؛ فما كان لله دام واتصل.

***

بعض الناس يريد أن يرى فيك شخصًا آخر يحبه أو كان يحبه؛ كان قد كوّن لك صورة خيالية قبل معرفتك، فإن اختلفت تلك الصورة؛ وجَّه إليك أنت اللوم في صور كثيرة، ليس من بينها السبب الحقيقي.

***

(1) عبس: 17



الملائكيون منا من يلوم نفسه إذا غضب منه أحبابه، أو قل تواصلهم، أو أحدثوا جفوة بعد وصال؛ وإن لم يكن هو السبب.

فإن عرفتم بعضهم فلا تفرطوا فيهم.

***

يحاول بعضهم الاقتراب منك بقدر ما تحاول الاستغناء عنه أو إبداء اللامبالاة تجاهه، كأنه لا يقترب ليتواصل بل ليثبت لنفسه أنه طبيعي ومرغوب.

ولله في خلقه شؤون.!

***

يحدث للناس من النفور بقدر ما تشغل فيهم (الأنا) حيزًا[1].

***

تشَوُّه المفاهيم العقلية أهون من تشوه المعاني الوجدانية؛ لأن تشوه العقل أهون من تشوه الوجدان.

***

(1) والمعنى أنه: اذا اتفق الناس على الأهداف وصَفَت النوايا لم يثنهم عن الوصول لهدفهم إلا وساوس الشياطين، وهو لم يبق له إلا التحريش بين المؤمنين. في إطار البشرية فإن (الأنا) ستظل موجودة، وفي إطار الربانية ستختفي إذا تحقق الكل بمعنى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح 29].

سنظل نبحث عن شيء خفي في أنفسنا، بعيد الغور في أرواحنا؛ حتى نطمئن بلقاء في الجنة.

***

ما السعادة إلا هدوء، وسكينة، وراحة بال. وهذه لا تكون بأموال الدنيا، بل عافية في رضا.

***

من الناس من نفسه كنفس (الذئب) يريد الاقتراب منك ليرى نقاط ضعفك، ومنهم من نفسه كنفس (الطفل) إن اقترب وزالت الحواجز مل سريعا وتركك، ومنهم من نفسه كنفس (الحمل) في حالتيه سواء، محبوب خفيف اقترب أو ابتعد، والعاقل لا يتوقع من الناس إلا أن يكونوا كالبشر، مع إعمال أخلاق الصبر والتغاضي.

***

لا تنافس على شرف ولا جاه ولا مال ولا مناصب، تعش كالملوك، ويأتيك ذلك وزيادة.

***

ثمة أناس لا ينبغي أن يكونوا بيننا؛ إنهم أشرف وأكرم من أن يكونوا هنا.

***



قراءة رواية (قواعد العشق الأربعون) لا تجعلك محبًّا لله ولا متصوفًا؛ مالم تؤخذ بكليتك إلى علم وعمل.

***

(إرادة التصديق) عبودية للأشخاص، وهي مغايرة بالذات والاعتبار لـحسن الظن[1].

***

غاية ما يقوم به الداروينيون التطوريون من إثباتات؛ أنهم يساعدوننا على أن نرى شيئًا من سنن الله في خلقه، إن صحت تخميناتهم.

***

الحقيقة موجودة فى الشريعة، لا فرق بينهما سوى في الإدراك والفهم، فالحقيقة قد تكون أمام ناظريك، لكنك لا تدركها[2].

***

(1) هناك فرق بين إحسان الظن بالناس ومحبة بعضهم لدرجة تجعل الشخص يصدق أي شيء يقال، وإن لم يكن موضوعيًّا أو فيه كذب واستخفاف بالعقول أو تناقض ظاهر. هذا لا يدخل في باب حسن الظن بل شخصية جارفة قابلتها شخصية مهزوزة ضعيفة. وإن بدا لها كذب وتناقض فإنها قد اتخذت قرارًا بتصديقه إما محبة وإما جبنًا وإما ضعفًا ومذلة.

(2) سيدي عبد الغني العمري

من الناس من تكون مواقفه (الفكرية) تابعة لحالته (النفسية) أو اختيارات (قبيلته) من الأهل والأصدقاء والمشايخ؛ فهؤلاء لا نورد لهم الحجج العقلية قبل تطهير نفوسهم من الهوى، وعقولهم بالوعي.

❋❋❋

تقلب القلوب واختلال المزاج بغير تحكم من الإنسان ودون أسباب واضحة؛ من أقوى الأدلة على استيلاء النقص على جملة البشر، الذي يستدعي ضرورة التواضع ومعرفة القصور الذاتي، ومن أقوى الأدلة على وجود الغني الكامل سبحانه وتعالى.

❋❋❋

الأريحية وعدم التكلف وحسن الظن بالناس؛ من مفاتيح راحتك أنت، قبل أن تكون من سبل راحة من تعاشرهم.

❋❋❋

من الناس من لا يحتاجون منا سوى الاستماع في صمت، ففي مجرد الاستماع إشباع لحاجاتهم منا.

❋❋❋

تملق السفهاء أو ضعاف العقول، ليس تواضعًا بل قلة تدبير.

❋❋❋



حين تهيمن حضارة ما على العالم؛ فإن هذا يعني: هيمنة إطارها المفاهيمي وجهازها المعرفي الذي يتسرب إلى سائر الحضارات محاولًا ابتلاعها وإعادة تشكيلها. وهو ما نراه جليًّا في انتشار السفسطة باسم العلم والموضوعية.

***

من الناس من يطارده ماضيه، ومنهم من يطرد ماضيه، والأسوياء لا يقعون في أيهما.![1]

***

نسير وراء سراب اسمه الدنيا، ووهم اسمه السعادة، وخواء اسمه المنصب، واستكثار اسمه المال، وعلو اسمه الجاه. وكله قبض للريح، تزول لذته عند آلام الصداع.

***

الزواج المبكر مع تأخير الإيلاد خير من الوقوع في المعاصي، وإن رفضه المجتمع بأي اسم كان.

***

(1) فالأسوياء يتعلمون من دروس الماضي، فهو حاضر لديهم لكن ليس بأحداثه ولكن بالخبرة المتحصلة منه، فهم لا يطردونه لأنهم يفيدون من دروسه ولا يدعونه يطاردهم لأنهم لا يلتفتون إلى أحداثه.

لا تحترم غير المحترمين؛ لأنك أول من ينزل من نظرهم، فإنهم أعلم الناس بحقيقة أنفسهم.

❊❊❊

ليس كل من كتب أو قال شيئًا تحقق به، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

❊❊❊

ربما كان انتشار أفلام الخيال العلمي وغيره، من طرق التعويض عن شبق الروح للإيمان بالغيب أو استشرافه.

❊❊❊

الفن والموسيقى إحدى صرخات الروح التي تبحث عن مأوى، لكنها تخطئ الطريق في كثير من الأحيان.

❊❊❊

بعض الناس لا يفهم المجد إلا صعودًا على أكتاف غيره، والجدية إلا جفاء في المعاملة. والحق إلا تلازمًا.

❊❊❊



مازال في الناس الفضلاء وأصحاب الشرف ومن يوصفون بالنبل؛ وهؤلاء في الأغلب من أصول شريفة أو أسر عريقة، وإن لم يكونوا الأكثر مالًا.!

***

لا يكون تغيير، إلا على أرضية الرفض.

***

أكثر الناس لا يفهم من الحب إلا ما كان شهوة أو ما أدى إليها، والحق أنه أعم، بل الشهوة أقل درجاته، أو بها ينطفئ.

***

على كل صادق باحث عن سعادة الدارين أن يجعل لنفسه وردًا من الخلوة، يخطط فيها لمستقبله الحقيقي.. نعيم الأبد، أو شقاء الأبد.

***

حفاظ القرآن أشد الناس سكينة وأكثرهم راحة بال، وربما كانوا أقلهم عرضة للأمراض البدنية والنفسية.

***

المكث في المسجد ولو لغير ذكر ولا قراءة قرآن جنة مفقودة، وآثاره النفسية مجربة.

***

إذا حفظت القرآن فأنت- يقينًا- أذكى من أقرانك، لكنك أقلهم دعاية لنفسك.

***

ما أتعس من حُببت إليه السكينة وقت الضوضاء أو الزحمة أو تداخل الأصوات وعلوها.. وما أتعسه إذا كان بلوغ بعض ما يحب مختلطًا بما يكره؛ كاختلاط الكتب بالفوضى في المعارض.

***

تطلع الناس لرؤية آمالهم مشخصة ماثلة في شخص، أسهل من عملهم على أن يكونوا هم مشخصات وماصدقات تلك الآمال.

***

السعادة بين جنبيك فلا تتعب نفسك بالبحث عنها خارج ذاتك.

***

إذا تحولت أي علاقة بين البشر إلى عبء نفسي؛ فقد انقطعت. إلا أن المسألة تحتاج إلى وقت لتخرج من القوة إلى الفعل.

***

إذا كنت ممن تغره الكثرة أو الشهرة أو الغنى أو الجمال الظاهر؛ فأنت على عتبات الحمق، إن لم تكن من أهله، بل دعاته.

***

ما زال في الناس خير، وحمق أيضًا.

❋❋❋

بعض الناس كالمرآة ينطبع بصورة البيئة التي يحيا فيها ويتشرب مبادئها ويعرف مقاصد الناس فيها سريعًا؛ فهؤلاء هم خيار الناس في الجاهلية والإسلام.

❋❋❋

أهل الإيمان والصلاح أبطأ الناس غضبًا وأسرعهم رضًا؛ لأنهم يتثبتون، وبالله يثقون.

❋❋❋

(يسافر الناس ليتفرجوا على الجبال الشاهقة، وأمواج البحار الهائلة، ومجاري الأنهار الطويلة، وعلى الامتداد الشاسع للمحيطات، وعلى الحركة الدائرية للنجوم.. ويمرون بمحاذاة ذواتهم دون أن يتفرجوا عليها)[1].!

❋❋❋

قال أهل الله: انظر إلى نفسك كأنك أجنبي عنها، وعاملها كما تعامل غيرك من الناس؛ حتى تأمن شرها.

❋❋❋

(1) القديس أوجستين

ما رأيت ملحدًا إلا وله نوع ذكاء وبقايا آلام يخفيها، نشأ عنها إلحاده، أو نشأت بسبب إلحاده.

❋❋❋

لو لم يكن الله موجودًا؛ لكان الانتحار من الواجبات العقلية.

❋❋❋

لعشاق المصريات عليكم بعقيدة (الطحاوي)، وابحثوا عن فقه (الليث)، وأحيوا قراءة (ورش)، والتزموا حِكَم (ذي النون) السالك.

❋❋❋

يؤتي الله عبده من كل شيء على سبيل الاستدراج.. وهو لا يخرج عن إرادة الله كذلك.

❋❋❋

إذا أراد الله بعبده أمرًا هيأ له أسبابه وسهل له طرقه، وبقدر الأسباب المهيأة يكون اتساع تمكينه أو شدة تمكنه؛ وأوفرهم حظًّا من آتاهم الله من كل شيء سببًا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[1].

❋❋❋

(1) الكهف: 84

يسيئون إلى الله ورسله ويسمونها حرية تعبير، ثم حين نبين أحكام الله فيما يفعلون، يسمونها حض على الكراهية.

***

أوقات السحر كمجالس العلم؛ شعور بالراحة والسكينة، وإن لم تخرج بمعلومات.

ومجالس العلم كأوقات السحر؛ شعور جارف بالراحة والطمأنينة وإن لم تجلس لذكر ودعاء.

وكلاهما مما عجل من النعيم في الدنيا، والمحروم من حرم مجلس علم أو خلوة في سحر.

***

روح حيرى تبغي السكينة، خائفة تبحث عن ملاذ، عطشى تطلب الري، مظلمة تتلمس شعاع نور، شاكة تتغيَّا اليقين، هائمة تريد مرفأ.. حتى تفر (إلى الله)، وتعي أنها (من أمر ربي).

***

ما حرمك إلا ليعطيك.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[1].

***

(1) الشورى: 27

سقيا لأيام الصبا ومغاني الشباب. لن يبقى لك من العمر بعد الذبول والنحول إلا لحظات: ذكر، أو فكر، أو علم وتعليم.. فأكثر منها ما استطعت تَنْعَم ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

***

ما أجمل أن يؤذن لك بالدخول في زمرة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[2].

فاللهم اجعلنا ممن يسرت لهم القرآن، ويسرتهم للقرآن؛ فلا يخرج في حياتنا وعند موتنا وبعثنا ونشورنا إلا ميسرًا كما يخرج النفس.

***

الاحتياج هو الانسان، بدونه نفقد معنى الانسانية، والإنسان هو الضعف والفقر، ومعرفة النفس أول أبواب معرفة الله.

***

قالوا: من علامات المَقْت إضاعةُ الوقت.

***

ثعبان ينمو بداخلك، يكبر كلما كَبُرَت صفاتك، يتغذي عليك.. إن قتلته مت وارتكبت كبيرة. لابد لك من سياسته والتعرف عليه؛ حتى تخفف من أضراره عليك.. إن عرفته بصفاته عرفت ربك.

نفسك ثعبان.. يأكلك.

---

(1) القصص: 60

(2) مريم: 97



لو كنت ملحدًا: سترى الدنيا عبثية وما يحدث فيها غير عادل، ولو كنت مؤمنًا: سترى أنها دار ابتلاء سواء بالخير أو الشر، وفي الحالتين: التعلق بها عبث، والمنافسة فيها جهل، وامتلاء القلب بها غرور.

***

وفي الشعور بالاضطرار والضعف والافتقار إلى الله؛ راحة. رغم حالة القلق وقلة الحيلة المؤدي إليها.

فيكون الضيق والسعادة وجهان لعملة واحدة، كتب على جهتيها: القابض الباسط.

***

(لذة القرب) أعز من أن تعطى لكل طالب، وأكرم من أن تكون إلا بطلب.

ومضات تُقَلِّب النفس؛ لتظل بين الخوف والرجاء، الحرمان والشوق؛ حتى يؤوب الطريد، ولا يغتر القريب.

***

إذا أذن الله لك بالحياة الحقيقية، وجعل لك نورًا تمشي به في الناس فلا تطفئ ما نوره الله بمعاصيك وغفلاتك.

***

كن بكلك لمولاك، ودع الناس للناس؛ فإن لم تستطع فبقلبك، فإن لم تستطع فبلسانك ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1].

***

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].
وبعضهم- الآن- في غفلة، وبعضهم- الآن- لا يؤمنون.!

***

والنظر إلى بعض الوجوه والصور قسوة للقلب، فهذه غض البصر عنها حفظ للقلب والروح، رجلًا كان أو امرأة.

***

نحن لا ندرك ما خلق؛ فكيف ندرك من خلق.. ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[3].!

***

الأحكام المسبقة من أكبر صوارف القلوب عن تحصيل المنافع الدينية والدنيوية، وهي من وساوس الشيطان إلا أنها تخمرت.

***

(1) الأنعام: 91
(2) مريم: 39
(3) الأنعام: 103

بعض الناس كالألماس لا تعرف حقيقته إلا إذا عرفت حقيقة الزجاج.

***

هضم النفس وزرع شجرتها في أرض الخمول يجعلك تتعرف على أعظم الناس على الحقيقة، وعندها ستكتشف أن الكثير ممن يشار إليهم.. مساكين.

***

التواضع وعدم التطلع للشهرة سيجعلك تتعرف على من هم مثلك، وستكتشف أنهم أعظم بكثير من أناس يشار لهم.

***

في الدنيا جنة موازية لا يدخلها إلا أهل المعافاة ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1].

***

من أسرار عظمة العظماء أنهم لا يشعرون بتميزهم، فتفتح لهم قلوب العباد، فتصير عاداتهم وأقوالهم العادية من مصادر الإلهام.

***

الخريف والشتاء: ربيع المؤمن؛ يصوم نهارهما ويقوم ليلهما.

***

(1) الواقعة: 13، 14

لا أسوأ من أن لا تكون: نفسك.

❋❋❋

أقرب الناس إلى القلوب، وأدومهم علاقة، وأكثرهم مؤانسة: من لا تتكلف معه، ومن لا تحتاج إلى أن تبرر له ما تفعل.

❋❋❋

يندرفي زماننا أن تجد شيخًا يقنع العقل والفكر، ويملأ فراغ الوجدان والقلب، معًا.أو يسلك بك مسالك أهل العلم وأهل الله في آن واحد.

❋❋❋

رضي الله عن سيد شباب أهل الجنة، ولعنة الله على قاتليه، وهدى الله من جعل يوم عرسه وشهادته مأتمًا.

❋❋❋

كم من عارف كبير بقي تحت أستار الخمول حتى لقي الله تعالى، بل كلما عظم قدر العارف عند الله خفي أمره على الناس؛ لأن الكنوز لا تكون إلا مدفونة، فإن ظهرت نهبت وتشتت أمرها وذهب سرها[1].

(1) الفتوحات الإلهية/ ابن عجيبة

والمعنى أن: الظهور مظنة طلب الرياسة والجاه والمكانة لدى الخلق يُحول نظر العارف من معاملة الله الى معاملة الناس، فضلًا عن تضييع الأوقات التي تكون بكثرة من يفد عليه ما بين صادق ومدع؛ فتتنزل مرتبته بذلك كله.. هذا- والله أعلم.



التغيير منوط بالنفس لا بغيرها، فمن أقدره الله على تغيير نفسه؛ غَيَّرَ الله له العالم: إما تغييرًا حقيقيًّا أو بتغيير معنى الأشياء من حوله، فتصبح الدنيا كعالم جديد لم يره من قبل.

❋❋❋

ويكتشف (المشهور، ذائع الصيت)- بعد أن كان موجهًا للجماهير، قائدًا، حريصًا على ما يصلح لهم؛ أن حركتهم الموارة، والتفافهم حوله وحرصه على بقاء هذا الالتفاف وتكثيره، صار موجهًا لآرائه واختياراته، فأصبح مقودًا، وإن جاء على حساب الحق أو مصلحة من يثق به.

❋❋❋

حين أنظر لأفعال المغترين بأنفسهم، المنتفخة أوداجهم بما أعطاهم الله.. أعجب من حلم الله مع هؤلاء.

أحب للمرء أن يكون: كما خلقه الله، لا يتكلف، يعيش كالناس؛ وقد كان رسول الله ﷺ كواحد من أصحابه.

❋❋❋

التشابه بين بعض تعاليم الأديان وقصصها- سماوية أو وضعية- يتخذه الملحدون دليلًا على بشرية الدين، ونحن نعده دليلًا على وحدة الأصل.

❋❋❋

- كيف تعرف أن مشاعرك نابعة من ذاتك أنت، وليست مجرد صدى لمشاعر الآخرين التي- ربما- هي الأخرى موجهة بريموت كنترول؟!
- إذا كنت متسقًا.. لاتبالي بموافقة الناس أو مخالفتهم.

***

كل ما تطرب له الروح من بيت شاعر، أو كلمة ناثر، أو نغمة موسيقِيٍّ؛ فإنما هو من أثر النفخة الإلهية الأولى التى رزقتها دون استشراف، فإن فطنت لما يراد منك، توجهت مستشرفًا علك ترتوي، وإلا بقيت منتظرًا ما يُمَنُّ به عليك كل حين.

***

إنّي منذُ ثلاثينَ سنَةٍ أخاطبُ اللهَ، والناسُ يظنُّونَ أنّي أخاطِبُهم[1].

***

المحبة سلوك الروح، يترجمها الجسد.. فإن زادت لم تحتج ترجمانًا.

***

الأذكياء يميلون إلى التحرر من القيود؛ لأن عقولهم تحركها أرواحهم المحلقة، لكن الإغراق في التحرر يورد المهالك، وربما أَلَّه الواحد منهم نفسَه.

(1) سيد الطائفة؛ الإمام الجنيد



تلقى الناس كلامك بالقبول لا يُغْنِي عن مراجعته، فليست قوة الكلام بكثرة من يؤيده، ولا ينقلب الكلام صحيحًا إن كان فاسدًا في ذاته أو فيه قصور.

***

الحالمون.. أكثر الناس صدمة، وأكثرهم تقلبًا؛ فألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة.

***

الإلحاد يخالف القانون الأول لنيوتن الذي يقول فيه: إن الجسم الساكن يبقى ساكنًا، والمتحرك بسرعة منتظمة يبقى متحركًا، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية تؤثر من وضعه السكوني أو الحركي[1].

يقول أينشتاين: إن مشكلة العقل البشري هي أنه يريد أن يخضع الكون كله للمقاييس التى اعتاد عليها فى دنياه هذه.

***

(1) فلابد من قوة خارجية أجبرت الانفجار الكبير أن يحدث في تلك اللحظة بالذات، أو جعلت الكون يبدأ في تلك اللحظة دون غيرها إذ الترجيح بلا مرجح مستحيل عقلًا..!!

بعض الناس ممن لم يبلغ من التقوى والعلم والعمل مبلغًا كبيرًا، بحيث يكون قدوة أو شيخًا يؤمه الناس أو مشارًا إليه بالبنان، يقيمه الله تعالى في مقامات عالية، بحيث يكون لسان الحق الناطق بمراد الله، ويقيم الله الحجة على الخلق بكلامه، وهو دون ذلك؛ لذلك قالوا: انظر إلى ما قيل وليس إلى من قال.

❋❋❋

لولا (الدين) و(التدين) لكان الإنسان قابلًا لكل صورة، يتخلى عن كل مبدأ، يتبنى أى فكر، يتحول عن آرائه في سرعة البرق، يبيع قيمه لمن يدفع.. الدين وحده من يخلق إنسانًا سويًّا، مستقيمًا، متسقًا مع ذاته، غير متناقض.

❋❋❋

وشأنُ العالِم الرباني أن يكون حَكَمًا، لا خَصْمًا.. وأن يكون قريبًا من الجميع، لا مُمَالِئًا لذي الشَّوكةِ منهم. وأن يكون لضعفاء الناس أقرب منه لقويهم.

❋❋❋

إن لم تفتح للناس طرق الحلال، ذهبوا للحرام.

❋❋❋

لا تغلق النوافذ، إلا إذا فتحت الأبواب.

❋❋❋

تقديم البدائل، أصعب من القضاء على المفاسد.

***

من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس.

***

الإيمان بسيدنا محمد ﷺ رسولًا خاتمًا؛ ركن الشهادة وشرط الإسلام، لا يصح الإيمان ولا ينال رضى الله إلا به؛ والقول بغير هذا زندقة ورِدة صريحة.

***

لولا فساد القلوب بمعاني حب التملك، وإرادة التعالي، والاستحواذ، والحرص على الظهور لما وُجد علم الإدارة[1].

(1) إيقاظ: إذا وجدت مجموعة بشرية واشتركوا في إنجاز عمل وكان الهدف هو إنجاز العمل دون النظر إلى المكاسب الشخصية من ورائه مادية أو معنوية؛ فإن الأمور ستسير بأريحية. يحدث الاختلاف في الأعمال؛ لأن الكثير منهم يبحث عن حظه ومكسبه هو: مال، جاه، سلطان، شهرة، كلمة مسموعة.. وهذا لا يأتي إلا بالتجرد لله أو للفكرة. والتجرد لله أدوم، لهذا قال رسول الله في سياق المدح: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، إذا كان في المقدمة كان في المقدمة وإذا كان في الساقة كان في الساقة).. ولهذا لما أُمر خالد بن الوليد بترك قيادة جيش المسلمين لصالح أبي عبيدة ذهب بنفسه وألبسه خوذة القيادة، فهذه تربية الرسول.!

باختصار: إذا كانت الأهداف كبارًا ولم تكن النفوس فارغة، لم تلتفت إلى هذه التفاهات التي تسمى حظوظ النفس ومكاسبها مما نحتاج معه لإدارة الاختلاف وكتابة اللوائح التي تحدد لكل ماذا يفعل وما حدوده وصلاحياته.

(كيف يشرق قلب، صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته)[1]؟!

***

ما من فكرة إلا وفي طياتها قيمة، وما من قيمة إلا وراءها فلسفة كامنة.

***

(الإنصاف): أن لا يكون رفض رأي أو رده فى وقت أو موطن حاملًا لك على أن تذم قائله أو ترد كافة قوله في كل وقت وموطن، وأن تزنه بنفس الميزان الذي تزن به نفسك.

قال بعض مشايخنا: (ارتفعت طريقة التربية بالاصطلاح في سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولم يبق غير الإفادة بالهمة والحال؛ فعليكم باتباع السنة من غير زيادة ولا نقصان، يعني الجادة مع التزام الصدق)[2]

***

قال المعلم الأول: "من أراد أن يشرع في علومنا فليستحدث لنفسه فطرة أخرى".

(1) الحكم/ سيدي ابن عطاء الله السكندري

(2) اللوائح الفاسية، سيدي أحمد زروق

معناه: أن العلوم الإلهية مماثلة للعقول القدسية؛ لاتحاد العقل والمعقول، وإدراكها يحتاج إلى لطف شديد وتجرد تام.[1]

❋❋❋

ما أعجب أن نكون محط آمال الناس وأحلامهم الممكنة.. ألا يدري هؤلاء أننا مجرد حالمون مثلهم؟!

لسنا حلمكم المتجسد؛ فلنحلم سويًّا بلا ملل.

❋❋❋

إذا مدحت الناس بما ليس فيهم، أو عبرت عن محبتك لمجرد المجاملة؛ فلا تتوقع من الناس تجاوبًا؛ لأن ما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

الشهادة اصطفاء، كالنبوة.

❋❋❋

لا (توكل) إلا مع العمل، ولا (تسليم) إلا بعد الدعاء، ولا (صبر) إلا في مصاحبة الأسباب، ولا (حسن ظن بالله) إلا مع حسن عمل، ولا (رضا) إلا مع البلاء، ولا (يقين) إلا بمجاهدة.

❋❋❋

(1) المبدأ والمعاد في الحكمة الإلهية، ملا صدرا

دعاء.. ومناجاة

القطرة السبعون:

في هدأة الليل

الليل روضة العاشقين، وبوح المحبين، صمته كصمت قلب يوشك أن يتفجر بالأسرار، وهدوءه كورق شجر ما عادت نسمات الهواء تداعبه، ظلمته كسواد العين، سر الرؤية ومنبعها، وأخدود نهر يشق طريقه في صحراء.

لايعرف قيمة الليل إلا من صافاه فاصطفاه، أو التزم ساعاته فوافاه.

كم يُعشق الليل!. هجرته لا بفعل مني، وحين ناداني لبيت صاغرًا.

الليل كله سعادة؛ فالنائم يجد فيه راحته، والماجن يجد فيه لذته، والعاشق يجد فيه سلوته، والعابد يجد فيه خلوته، وكل يبكي على ليلاه، وكل بما يملأ قلبه مشغول، وعلى أنسه محمول.

لو لم يكن في الليل إلا قلة أنفاس الناس وهدوء لهاثهم على دنياهم لكفاه؛ ولأن نزول الرب فيه ما قايضناه.

قرآنه مشهود، وقائمه محسود، وحق لغافل فيه أن يعود.

فيه ندعو بما يجود به الرب فنقول: اللهم خذ بأيدينا إليك، أخذ الكرام عليك.

اللهم انزعنا من أهواء نفوسنا؛ حتى نحب ما تحب، ولا نرضى إلا بما يرضيك.

اللهم انزعنا من ضلالات عقولنا؛ حتى نبصر بنورك ما أخفيته عنا.

اللهم كن لنا وليًّا ومرشدًا وسندًا وعونًا ونصيرًا، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم ألق على قلوبنا من فيوض أنوارك ما يشرح صدورن، ويزيل كربن، ويبعد الهموم والأسقام عنا.

اللهم لاعز إلا بك، ولا غنى إلا في طاعتك، ولا كفاف إلا في محبتك؛ فارزقنا عزًّا وغنى وكفافًا.

اللهم سخر لنا قلوب عبادك، واهد لنا العصاة منهم، وقربنا من أحبابك حتى ننتفع بحبهم فيك.

اللهم كن لنا جارًا ومعينًا، وسندًا ونصيرًا، وردءًا وظهيرًا؛ فلا يشغلنا سواك عنك.

اللهم اقض حوائجنا وحوائج السائلين.. يا ذا المن العظيم والسلطان القديم.

اللهم أمطرنا برحماتك، واشملنا بعفوك، وكن لنا جارًا ومعينًا ونصيرًا. وهبنا من لدنك بصيرة نفهم بها عنك، ونتلقى بنورها كتابك، وبارك لنا فيما أعطيتنا، ولا تسلبنا ما تكرمت به علينا، ولا تمسك عنا جزءًا مما تمنحه لمن أحببت واصطفيت. يا حنان يا منان ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1].

---

(1) فاطر: 2

اللهم رب القلوب ومالكها، ورب الأرواح ومصرفها؛ أخرجنا من ظلمات الوهم إلى نور الفهم، ومن ظلمة الحيرة إلى برد اليقين، وهب قلوبنا منك نورًا نبصر به ما حجبته عنا، وينكشف لنا به ما جهلناه بظلمتنا، وهيئ تلك القلوب للتلقي عنك، والأنس بالاستمداد من نورك وهدايتك ورحمتك، ولا تقطع عنها إمدادك وإعانتك ولطفك، ولا تجعل لمددك لها حدًّا محدودًا ولا سورًا مضروبًا، ولا تقطع عنها المدد بتقصير أو غفلة، ولا تحجبها عنك بمعصية أو شهوة؛ فرحمتك أوسع وعطاؤك أعم، يا ذا الجود والمن، والإحسان والكرم، نسألك قلوب الأصفياء وعقول العارفين وأرواح الربانيين. يا ودود يا منان، يا من توددت لخلقك بنعمك، وامتننت عليهم بجودك وكرمك، وتعرفت إليهم بأسمائك، وقربتهم إليك بصفاتك؛ كن لنا مؤيدًا وهاديًا ونصيرًا، ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سبيلًا، أنت ربنا نعم المولى ونعم النصير.

ربي، ها أنت ترى مكاني وتسمع كلامي وأنت أعلم من عبادك بحالي..

ربي شكواي لك لا لأحد من خلقك؛ فاقبلني في رحابك في هذه الساعة المباركه.

ربي، إني طرقت بابك؛ فافتح لي أبواب سمواتك وأجرني من عظيم بلائك..

اللهم يا مسخر القوي للضعيف ومسخر الجن لنبينا سليمان ومسخر الطير والحديد لنبينا داود ومسخر النار لنبينا إبراهيم؛ سخر لي عبادك الطيبين من حولي وسهل لي أموري وارزقني من حيث لا أحتسب.

ربي، بحولك وقوتك وعزتك وقدرتك أنت القادر على ذلك وحدك لا شريك لك.. اللهم إني أسألك بخوفي من عظمتك وطمعي برحمتك أن ترزقني ما كان خيرًا لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله.

اللهم إني أشكو لك قلة حيلتي وهوان أمري وضعف قوتي.

اللهم إني أسألك أن تصرف عني شتات العقل والأمر والتفكير.

ربي، آثرني ولا تؤثر عليّ.

ربي، انصرني ولا تنصر علي. إلهي، ارحم ضعفي وفرج همي واجبر كسري وآمن خوفي، وأمطرني برزق من عندك لا حد له، وفرج من عندك لا مد له، وخير من عندك لا عدد له.

اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله وإن كان في الأرض فأخرجه وإن كان بعيدًا فقربه وإن كان قريبًا فيسره وإن كان قليلًا فكثره وإن كان كثيرًا فبارك لي فيه.. اللهم ولمرسلها مثل ذلك.

يارب في هذه الساعة؛ أسالك الراحة لكل مسلم ضاقت عليه دنياه وذرفت عيناه.. يا الله أفرح قلوبًا أنهكها التمني وبشر أصحابها بفرح لا يذكرهم بوجعهم وأسعد قلوبهم وأسعدنا بصحبتهم.. اللهم اغفر لوالداي وأدخلهم جنتك ياأرحم الراحمين.

اللهم آمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

القطرة الأخيرة:

افعل ما ينبغي.. والسلام

الابتلاء شديد، والفتن متتابعة، ولن ينجو مما هو قادم إلا من كان بينه وبين الله خبيئة يعدها لأيام كهذه؛ فلا عاصم إلا من عصم الله، ولا ناج إلا من سبقت له العناية وأحاطته عين التوفيق.

إذا كانت الدنيا دار ابتلاء؛ فإن بلاءها ليس واحدًا، بل يتفاوت، وما نحن فيه من سنوات ليس سوى امتحان بعد امتحان؛ ولن يسلم إلا من استعد بعلم وعمل.

في نهاية مقدمته لكتابه (إحياء علوم الدين)[1] كتب حجة الإسلام قائلاً:

(فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام).![2]

(1) إحياء علوم الدين، 1 / 41

(2) وضعنا للقارئ بعض العلامات على طريق النجاة فلينظرها في كتابنا: بصائر!

فهرس المحتويات

